شرح الخطبة الفدكيه

الاستاذ محمد تقي مصباح اليزدي

شرح الخطبه الفدكيه

دروس ألقيت في شهر رمضان المبارك من عام 1431 هـ

آية الله الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي (حفظه الله)

http://www.mesbahyazdi.org/arabic

الفهرس

الفهرس	3
الجلسة الاولى: الوحدة والاختلاف	4
الجلسة الثانيه: الوحدة والاختلاف	17
الجلسة الثالثه: الوحده حول محور الحق	29
الجلسه الرابعه: فدك ذريعه لبيان الحقائق	41
الجلسه الخامسه: النعمه الحقيقيه	51
الجلسه السادسه:السيده المحدثه	62
الجلسه السابعه: بحر النعم الالهيه	71
الجلسة الثامنه: شكر النعم الالهيه	80
المؤلف في سطور	90
أقوال عن الشيخ المصباح	92

الجلسة الاولى: الوحدة و الاختلاف

بسم الله الرحمٰن الرحيم

هذا الذي بين أيديكم هو عصارة لمحاضرة سماحة آية الله مصباح اليزديّ (دامت بركاته) ألقاها في مكتب سماحة وليّ أمر المسلمين في شهر رمضان المبارك من العام 1431هـ يوم 13 آب 2010م نقدّمها من أجل أن تزيد توجيهات سماحته من بصيرتنا وتكون نبراساً ينير لنا درب هدايتنا وسعادتنا.

الوحدة والاختلاف

مدخل:

نبارك لجميع محبّي الإسلام ونهنئهم بحلول شهر رمضان المبارك سائلين العليّ القدير بحقّ الوجود المقدّس لوليّ العصر (أرواحنا فداه) أن يشملنا جميعاً في هذا الشهر الشريف بعناياته الخاصّة.

لقد اقتُرح علينا التطرّق إلى بحث خطبة السيّدة الزهراء(عليها السلام) في هذا الشهر الفضيل وكذا في السنة القادمة إن شاء الله تعالى. في الحقيقة منذ أكثر من 25 عاماً وأنا أحضر في خدمة الأخوة الأعزّاء من طلبة العلوم الدينية وغيرهم أحياناً في كلّ ليلة خميس لنستعرض آيات من الذكر الحكيم وأقوال عن أهل البيت (عليهم السلام) آمل من خلالها أن أحظى بلياقة نيل شفاعتهم(عليهم السلام). إنّه لطالما راودتني فكرة الخوض في بحث حول كلمات السيّدة الزهراء(عليها السلام)؛ لكنّ الذى كان يمنعني من ذلك غالباً هو شبهة أنّ طرح خطبهاقد يثير حساسيّة الأُخوة من أهل السنّة بل قد يؤجّج المزيد من الخلاف؛ لكن بعدما تمّ توثيق خطبة السيّدة فاطمة

الزهراءهذا العام وطُبعت ونُشرت بأعداد ضخمة، وبعد أن أيّدها وأمضاها مراجع التقليد العظام (حفظهم الله) فقد تبادر إلى ذهني في مقابل ذاك السؤال سؤال آخر وهو أنّه: بعد انتشار هذه الخطبة بين عامّة الناس، فهل يبقى هناك مبرّر معقول للإعراض عن شرحها وبيانها؟ أساساً كيف يمكن تحقّق تلك «الوحدة» التي هي مطلوبة أصلاً؟ هل لابدّ أن تبقى الكثير من الحقائق في طيّ الكتمان ولربّما تجابَه بالإنكار بعد تقادم العصور؟ أم إنّه ينبغي للمسائل العلميّة التي تتطلّب البحث والتحقيق أن تُبيَّن بمعزل عن التعصّبات وبدافع الإفادة من المعارف؟ إنّ هذه الحقائق هي التي تنهض بدور جوهريّ في حفظ الإسلام وأهدافه ويجب أن تُطرح في المحافل العلميّة على طاولة البحث بأُسلوب حياديّ كي تُمهّد الأرضيّة لخروج المشتبهين والملتبسة عليهم الأُمور من دائرة الشبهة والالتباس.

إنّه لَيساورني شعور بأنّ قلب الزهراء (سلام الله عليها) سيكون أكثر سروراً إذا تناولنا في بادئ الأمر البحث في أصل مسألة حفظ الوحدة. إذن فلنكرّس بضع محاضرات نتناول فيها قضيّة الوحدة والاختلاف ثمّ نُتبعها بالبحث حول نفس الخطبة الشريفة، التي تُعدّ من أفصح وأبلغ الكلمات المرويّة عن أهل البيت (صلوات الله عليهم) والتي لم يعد أيضاً أيّ مجال للتشكيك فيها من الناحية التاريخيّة، علّنا نُشمَل بالعنايات الخاصّة لهذه السيّدة الطاهرة.

الثورة التي أحيت اسم الزهراء:

في الحقيقة إنّ إحدى بركات الثورة الإسلاميّة هي عودة اسم فاطمة الزهراء إلى الحياة في أوساط المجتمع. لقد أمضينا نحن الجانب الأكبر من شبابنا في مرحلة ما قبل

الثورة و لم يكن آنذاك، حتّى في مدينة يزد التي تُصنّف ضمن المدن الدينيّة، ما يسمّى بالعشرة الفاطميّة أو ما شاكلها. إنّ هناك عوامل متعدّدة هي التي أدّت إلى عودة اسم الزهراءإلى الحياة في مجتمعنا على وجه الخصوص الأمر الذي أتحف العالم الإسلاميّ أجمع بعظيم البركات. فمن جملة العوامل التي أعرفها أنا شخصيّاً هي أقوال الإمام الراحل (رضوان الله تعالى عليه) بخصوص السيّدة الزهراءالتي يندر صدور نظيرها من شخص آخر. في الحقيقة لقد كان رحِمَه الله من الأشخاص الذين أحيوا اسم الزهراءفي هذا العصر، الأمر الذي اقترن بما غمر صفوف المجاهدين في ذلك الوقت من انجذاب معنويّ نحو شخصيّة الزهراء وهو ما لا يسعني تفسيره عبر الأسباب العاديّة. وإلى جانب ذلك يكمن عامل آخر أيضاً ألا وهو مبادرة عدد من مراجع الدين العظام في مدينة قمّ إلى إحياء أيّام العشرة الفاطميّة حيث يشاركون بأنفسهم، بل وحفاة الأقدام أحياناً، في مجالس العزاء المقامة بالمناسبة. حتّى آلت الأُمور أخيراً في هذا العام إلى توثيق خطبة الزهراءعلى أنّها سند تاريخيّ وقد أيّدها وأمضاها مراجع الدين على نحو منقطع النظير، ولعلّ هذا هو السبب من وراء اقتراح البعض تقديم بحث حول هذه الخطبة.

الوحدة؛ تقوية للملاكات المشتركة:

يتبادر إلى الذهن هنا سؤال هو: هل إنّ التعريف بأهل البيت(عليهم السلام) وبمواقفهم وتاريخهم يخالف الوحدة يا ترى إذا ما طُرح هذا الموضوع على نحو صحيح وعلميّ وبحثيّ؛ أم على العكس من ذلك، إنّ عامل وحدة الأُمّة الإسلاميّة أساساً هو مسألة الإمامة والولاية؟ على خلفيّة هذا النمط من التساؤلات أحسست

نوعاً ما بتكليف شرعيّ يدفعني الى عرض بحث جامع فيما يتعلّق بمسألة «الوحدة والاختلاف» ليتمّ في خضمّ البحث طرح أسئلةٍ يكون الهدف منها هو متابعتها من قبل الأعزّاء من أصحاب البحث والتحقيق علّهم يصلون من خلالها إلى النتيجة المرجوّة.

إنّ المعنى الحقيقيّ للوحدة هو أمر بديهيّ لا مجال للإبهام فيه، لكن من أجل أن يتّسم البحث بالجامعيّة نطرح فيما يلي بعض الاحتمالات. إذا كان المراد من إيجاد الوحدة هو أن يكون جميع الناس شيئاً واحداً تماماً، أي أن لا يكون فيهم أيّ تعدّد، فالكلّ يعلم أنّ شيئاً كهذا هو أمر غير ممكن بتاتاً. فالفردان من الإنسان هما موجودان اثنان ولن يكونا موجوداً واحداً على الإطلاق. فمن غير الممكن مطلقاً أن تحصل وحدة حقيقيّة بين جميع أفراد المجتمع.

وهناك مسألة طرحها علماء الاجتماع وهي: هل يمكن لمجموعة البشر الذين يشكّلون مجتمعاً واحداً أن تكون لهم وحدة حقيقيّة؛ أي أن تكون لهم هويّة جديدة هي غير هويّة الأفراد؟ وهذا البحث هو ممّا ينبغي طرحه في نطاق فلسفة الاجتماع، لكنّ هذه المسائل ليست محلّ بحثنا حاليّاً. فالوحدة التي هي مدار البحث هنا هي كالتالي: إلى أيّ مدى يتعيّن علينا، نحن الناس الكثيرين الذين نؤلّف مجتمعاً واحداً ولكلّ واحد منّا وجوده المستقلّ، إلى أيّ مدى يتعيّن علينا السعي لجعل ميولنا وحدويّة مع كلّ ما لدينا من اختلافات؟ فالمراد من إيجاد الوحدة هنا ليس هى الوحدة الحقيقيّة الفلسفيّة؛ بل المقصود هو تشخيص الملاكات المشتركة بيننا ثمّ نسعى إلى تقوية تلك الملاكات من جانب، وتقليل وتضعيف العوامل التي من شأنها

أن تؤدّي إلى التشتّت والعداوة من جانب آخر. فالمقصود من إيجاد الوحدة هنا هو الوحدة بالمصطلح الاعتباريّ، وليس المراد بها حذف أشكال الكثرة والاختلافات بالكامل. وهذا يشبه ما نصبوا إليه في قضيّة وحدة الحوزة والجامعة، ووحدة الشيعة والسنّة، ووحدة جميع الطوائف التي تتقاسم العيش المشترك في البلاد، وهو أن نشخّص الملاكات المشتركة بين الأطراف ثمّ نحاول أن نجعل تلك الملاكات تحظى باهتمام أكبر، وأن تكون أكثر قوّة، لتتضاءل في ظلّ تقوية تلك الملاكات دواعي الاختلاف وموجباته.

فهذا المقدار من مدلول الوحدة معلوم؛ لكنّه تُطرح أحياناً مسائل لا ندري إن كانت الوحدة تقتضي صرف النظر عنها أم إنّ المطلوب هو شيء آخر؟ ومن جملة المسائل المرتبطة ببحثنا والتي كانت تشغل ذهني واهتمامي هي أنّه عندما نتحدّث عن الوحدة بين الشيعة والسنّة فهل يُقصد من ذلك حذف المسائل الخلافيّة بين الشيعة والسنّة من الأساس وأن نركّز البحث على أصل حقّانية الإسلام، والنبوّة، والمعاد بذريعة أنّ طرح المسائل الخلافيّة يورث تفريق القلوب؛ ولذا علينا أن نترك الخوض فيها أساساً؟ هل هذا هو المراد من الوحدة يا ترى؟!

أنواع الاختلاف:

الوحدة في المباحث العقليّة تُطرح في مقابل «الكثرة»؛ أمّا في بحثنا هذا فإنّه يتمّ طرحها في مقابل «الاختلاف». فالوحدة هنا تعني عدم الاختلاف. وعندما ندعوا إلى الوحدة فإنّنا نصبوا في الواقع إلى وضع الخلافات جانباً؛ إذن فلابدّ في الحقيقة أن

نقيس مفهوم الوحدة مع مفهوم الاختلاف. وبما أنّ الوحدة في بحثنا هذا تقع في مقابل الاختلاف فدعونا أوّلاً نتعرّض لمناقشة معنى الاختلاف.

من الممكن أن يكون هناك موجودان متماثلان تماماً؛ كالأشياء التي تُصنع في المصانع طبق أُصول فنّية معيّنة عادةً. فمن الصعب بمكان أن نميّز أيّ هذين الشيئين هو «أ» وأيّهما «ب»؛ لأنّ هناك «كثرة» لكنّه ليس ثمّة «اختلاف»، إذ أنّ الشيئين متماثلان. إذن فالوحدة هنا لا هي متنافية مع المثليّة ولا هي متعارضة مع الكثرة والتعدّد. أمّا الاختلاف فيعني عدم التماثل، فحينما لا يكون الشيئان متماثلين يُقال إنّهما مختلفان. ولا يعني الاختلاف في هذا الباب القتال والنزاع، بل هو وجود التفاوت والتباين. فهل وجود مثل هذا الاختلاف أمر مذموم؟ وهل وجود الفرق التكوينيّ بين شيئين هو أمر قبيح؟ أو فلنطرح السؤال بصورة اخرى: لو لم يكن هناك اختلاف، فهل كان سيوجَد عالَمٌ أصلاً؟ فإن لم تكن هناك اختلافات تكوينيّة فإنّه لن يتمكّن إنسان من العيش ولن يتشكّل مجتمع بشريّ أساساً. وأساس هذا الكون هو هكذا أيضاً؛ فلو لم تكن هناك اختلافات تكوينيّة لم يكن هذا الكون ليتحقّق من الأساس. وإذا لم توجد اختلافات تكوينيّة بين الرجل والمرأة لن يصبح الجيل قابلا للبقاء. ولهذا فإنّ أصل الاختلافات التكوينيّة التي لا صلة لها بأعمالنا واختيارنا هي من لوازم وجود هذا العالم؛ فلو أنّها لم تكن لأُغلق الباب أمام الفيض الإلهيّ. انّ بقاء هذا العالم بكلّ ما يحويه من عناصر الجمال رهن باختلافاته، وهذا هو عين الجمال: «**الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ**»1. وتأسيساً على ذلك فإنّ هذا المعنى من الاختلاف ليس هو محطّ بحثنا.

هناك لون آخر من الاختلاف بحيث يكون لاختيار الأشخاص في الجملة دور فيه، والنموذج البارز لذلك هو الإفادة من المواهب الطبيعيّة لهذا العالم والتي نتيجتها أن تتمتّع جماعة بالثراء وتُبتلى أُخرى بالفقر. فبقطع النظر عن المسائل القيميّة الأُخرى، هل إنّ نفس هذا الاختلاف في طاقات وقدرات الأشخاص والذي يكون مدعاةً لحصولهم على منافع اختياريّة واكتسابيّة جديدة هو أمر حسن أم سيّئ؟ فإرادة الناس وأفعالهم مؤثّرة أيضاً؛ بيد أنّ منشأ هذه الاختلافات الطبيعيّة هو من الله عزّ وجلّ. فالذي يتمتّع بذكاء أوفر، وطاقة أعظم يكون أكثر قدرة على توظيف قواه البدنيّة، وأشدّ قدرة على الابتكار والإبداع، وهذا كلّه يوفّر أرضيّة خصبة لحصول هذا الإنسان على المزيد من المكاسب المادّية. هذا الأمر بعيد كل البعد عن الجبر قطعاً، لكنّه في الوقت ذاته مأخوذ بنظر الاعتبار في نظام الخلقة وتدبير الكون. فالله جلّت آلاؤه يقول: «**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا ءَاتَٰكُمْ**» 2 ؛ فالله قد جعلكم مختلفين من حيث المواهب التكوينيّة عبر جعل بعضكم أعلى درجة من البعض الآخر كي تتوفّر بيئة لامتحانكم وابتلائكم. فإذا حاز أشخاص على مواهب مادّية أكثر تعلّقت بهم تكاليف خاصّة، الأمر الذي يمهّد لامتحانهم. فهذا العالَم أصلاً مبنيّ على جعل مختلف الناس في معرض امتحانات شتّى ليختاروا مسيرتهم بأنفسهم ويُعلم مدى طاعتهم لربّهم. فإنّ ما أعطاه الباري عزّ وجلّ لنا هو موهبة ذاتيّة. فهذه الاختلافات الموهوبة من قبل الله ستشكّل أرضيّة لحصول أفراد المجتمع على فرص متفاوتة تقتضي تكاليف مختلفة وهذا بدوره يعني أرضيّات للامتحان. فهذا هو لون من ألوان الاختلاف. فهل الاختلاف من هذا القبيل هو حسن أم قبيح؟ فلو لم توجَد مثل هذه الأرضيّات لما تحقّقت تلك الامتحانات وإنّ عدم تحقّق الامتحانات يتسبّب في عدم التكامل، وفي هذه الحالة لا

يتحقّق الغرض من الخلقة. إنّ الله سبحانه وتعالى قد خلق الإنسان أساساً من أجل أن يختار مسيرة حياته بنفسه ويبلغ ذلك الكمال الذي جعله الله جلّ وعلا في ظلّ عبوديّته وطاعته. فلو لم تكن هذه الاختبارات، لم يكن بالإمكان العثور على تلك الكمالات. فاختيار الإنسان هو في الجملة مؤثّر في ظهور هذه الاختلافات التي تشكّل بدورها جزءاً من عناصر جمال الخلقة وهي مأخوذة بالحسبان في أصل الهدف منها ولابدّ من وجودها.

وهناك أيضاً نوع آخر من الاختلافات التي يكون سهم اختيار الإنسان فيها أوفر. وهذا النوع يرتبط بالهدف النهائيّ للخلقة ألا وهو مسألة العبادة والطاعة لله تعالى. وهنا بالتحديد تُطرح قضيّة الدين. وهذه الاختلافات لا تكون تكوينيّة وجبريّة؛ بمعنى أنّ القضيّة ليست هي أنّ المرء ابتداءً يأتي إلى الدنيا حاملاً ديناً معيّناً بشكل جبريّ. فاختيار الدين والطريقة تتعلّق بالأشخاص أنفسهم حيث تؤثّر على ذلك عوامل عديدة وتوجد لذلك صيغ معقّدة للغاية. وقصدنا من الدين هنا هو تلك السلسلة من المعتقدات التي تُطرح تبعاً لها مجموعة من القيم وتؤدّي الأخيرة إلى أعمال وسلوكيّات معيّنة؛ فالمراد من الدين هو مجموعة المعتقدات والقيم، والسلوكيّات الناتجة عنها. فعندما تُطرح مسألة انتخاب العقيدة، والقيم، والأحكام والعمل بالأحكام تتفاقم الاختلافات إلى حدّ كبير ويتّسع نطاقها يوماً بعد آخر. ففي الدول الغربيّة قد لا يمضي يوم من دون أن تنشأ فرقة دينيّة جديدة. ففي كلّ عام عادةً تظهر للوجود في الغرب، ولاسيّما في أمريكا، المئات من الفرق الدينيّة! وهنا تأتي قضيّة المؤاخَذة والتكاليف الشرعيّة أيضاً.

يقول القرآن المجيد: «**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَٰبَ بِالحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ**»3؛ فقد كان الناس أُمّة واحدة يتمتّعون باقتضاءات واحدة من الناحية الفطريّة؛ لكنّه حصل الاختلاف فيما بينهم. وهذه الاختلافات أدّت شيئاً فشيئاً وبعيداً عن المسائل العقائديّة إلى طرح قضايا قيميّة؛ ذلك أنّ بعض الناس يحاولون انطلاقاً من دوافع وأغراض شخصيّة الحصول على منافع أكثر من غيرهم والاعتداء على الآخرين. وهنا تظهر مدى أهميّة مسائل العدل، والظلم، والقانون، وما إلى ذلك. لكنّ نفس أُولئك الأشخاص الذين يريدون سنّ القانون لا تخلوا نفوسهم من دوافع الاختلاف أيضاً، الأمر الذي يؤدّي إلى انعكاس تلك الدوافع على قوانينهم. لذا فإنّه من غير الممكن لأحد وضع قانون حقيقيّ إلاّ أن يكون متزّهاً عن دوافع الاختلاف وغير محتاج لها أساساً. وهنا تأتي قضيّة: «**فبعث الله النبيّين**...»؛ فالله هو الذي يبعث النبيّين في سبيل رفع تلك الاختلافات.

وحيث إنّ ابن آدم هو موجود عجيب فإنّه يزرع الاختلاف في نفس العوامل التي من شأنها ان تمحو الاختلافات. فالله عزّ وجلّ قد بعث النبيّين وأرسل معهم الكتب السماويّة من أجل إزالة ما وقع بين الناس من اختلافات؛ أي إنّه فعل ذلك كي يرضخ الجميع للقانون، و حينئذ ينفّذون ما هو حقّ ولا يظلم بعضهم بعضاً لينعموا بحياة هانئة سعيدة؛ لكنّ هذا الإنسان الناكر للجميل يأتي ليزرع الاختلاف في نفس الدين: «**وما اختلف فيه إلّا الذين اُوتوه من بعد ما جاءتهم البيّنات بغياً بينهم**».

إنّ تأكيد الآية الشريفة ينصبّ على الاختلاف الذي يأتي عن بغي واعتداء وعصيان وظلم. «فالبغي» هنا هو في مقابل الحقّ؛ أي: الأشخاص الذين أحدثوا الاختلاف

في الدين عن غير حقّ. هؤلاء الأشخاص يزرعون الاختلاف في الدين عن طُرق شتّى. فمنها أن يقول أحدهم: إنّ قصد الله هو هذا، ويقول الآخر: لا إنّ قصده هو ذاك! بل إنّ الأمر قد بلغ إلى أن ينسبوا إلى الله ما اختلقته أيديهم: «**فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ**» 4. فإنّ ما أحدثوه في كتاب الله من هذه التحريفات هو أكثر شيوعاً من غيره، و هذا هو التحريف المعنويّ؛ بمعنى أنّهم حرّفوا مقصود آيات الله. وهذا الأمر هو ما يلقى اليوم رواجاً تحت شعار تعدّد القراءات. وهذا هو من فنون إبليس الذي ربّى التلاميذ من قبيل هؤلاء و هم الذين بحثوا عمّا أراده الله عزّ وجلّ سبباً للوحدة، وسبيلاً لبلوغ الحقّ، ومدعاةً لنيل السعادة، ثمّ جعلوا منه وسيلة وأداة لبثّ الاختلاف، ونشر الضغينة، وإشعال النزاعات، والتسبّب بالشقاء في الدنيا والآخرة: «**فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَٰتِهِ**» 5؛ فأيّ عمل أشنع من هذا؟ ففي مرحلة ما قبل نزول الدين والكتاب كان في أيديهم العذر، فقد كان بإمكانهم القول نحن لا نميّز بين الحقّ و الباطل، وما هو الأمر الذي يُرضي الله؛ لكن بعدما أنزل الله الكتاب وبعث الأنبياء، وقام الأنبياء بهداية البشر، فلماذا أحدثوا الاختلاف في نفس وسيلة الوحدة تلك؟! فهذا هو أسوأ ألوان الاختلاف التي ظهرت على وجه البسيطة.

أمّا المرتبة الأدنى من تلك فهي أن يقبلوا بالدين و ان يكونوا فعلاً على استعداد لأن يعلنوا عن الحقّ في مقام الإفتاء؛ لكنّهم لا يراعونه في مقام العمل. فعندما يأتي الدور إلى العمل يتدخّل الهوى فلا يسمح للإنسان أن يعمل بما يعلم. فهذه جملة من الاختلافات التي تظهر في المجتمع البشريّ.

توصية القرآن؛ الوحدة حول محور الحقّ:

الآن، وبالالتفات إلى الاختلافات المشار إليها، ما الذي ينبغي فعله؟ انّ الطريق الوحيد الذي يضعه القرآن الكريم نصب أعيننا هو الوحدة على أساس الحقّ. فالقرآن يدعوا اُولئك المتصدّين لإصلاح المجتمع، والذين يشفقون على حالهم وحال الآخرين على السواء، وينتابهم الهمّ لكسب دنياهم وآخرتهم معاً، ويكابدون المعاناة لما يشاهدونه من المفاسد ويريدون السعي لمواجهتها، نقول القرآن يدعوا هؤلاء إلى الوحدة على أساس الحقّ. فالكثير من الآيات القرآنيّة تصرّح بالقول: إنّ العنوان الرئيسيّ لدين جميع من بعثناهم من الأنبياء هو: «**أَنْ أَقِيمُواْ الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ**» 6؛ أي: أقيموا الدين ولا تحدثوا الاختلاف والفرقة فيه. اعرضوا الدين بمضامين واحدة وشفّافة وقواعد مسلّمة غير قابلة للتشكيك كي لا يكون سبباً للاختلاف بين الناس. فإذا كان هناك دين واحد وسليم كان بإمكانه أن يفصل في اختلافات الناس ويحلّ مشاكلهم؛ لكنّه إذا وجد الاختلاف في الدين ذاته، فأيّ عامل سيبقى لتولّي حفظ الوحدة؟

إنّ الوحدة المطلوبة هي التي تكون على أساس الحقّ وليست أيّ وحدة كانت. فهل من الحَسَن أن يتّحد الناس جميعا على الظلم؟ وهل هذا هو ما دعى إليه الأنبياء فعلاً؟ وهل هذه هي الوحدة التي يقول بها جميع العقلاء يا ترى؟ ألِمجرّد كونها وحدة فانّه لا إشكال إذن على الإطلاق؟! إنّ الوحدةفي الحقيقة هي وسيلة غايتها اتّساع رقعة الحقّ، والإفادة منه أكثر ما تكون الإفادة، وأن لا يقف أحد عقبة أمام الاستفادة من هذه النعمة الإلهيّة التي جعلها الباري تعالى لجميع العباد. فهل يا ترى طُبّقت هذه

النصيحة الإلهيّة على أرض الواقع؟ كلّنا يعلم أنّ الاختلافات ظهرت من أوّل لحظة، وفي نهاية المطاف حتّى في الدين الخاتم، الذي هو آخر موهبة إلهيّة إلى الناس، والذي لابدّ له أن يكون المرهم الشافي لكلّ الآلام والجروح الاجتماعيّة للبشر إلى يوم القيامة، حتّى في هذا الدين نشب الاختلاف منذ اليوم الأوّل لوفاة النبيّ الأكرم(صلى الله عليه و آله).

فإن أحبّ امرؤ أن يكون وفيّاً لهذا الدين وان يقف أمام تلك الاختلافات، فأيّ سبيل يتحتّم عليه سلوكه؟ لقد برزت هذه الاختلافات عندما أخذت عروق الباطل تنبض في جسد الدين. فلو كان الحقّ محضاً لما حصل الاختلاف. وإن أرادوا إزالة الاختلاف فما عليهم إلاّ قطع عروق الباطل تلك كي يصبح الدين الخالص والذي أنزله الله لجميع البشر واضحاً ومهيمناً؛ فالوحدة لا تكون مطلوبة إلاّ إذا كانت على أساس الحقّ. لذا يتعيّن علينا أن نسعى لتبيين الحقّ ووضعه بين أيدي الناس وان نعرّف الناس بعروق الباطل كي لا يُبتلى أحد بها. فهذه هي فكرة عامّة وأساسيّة يجب أوّلاً على الأنبياء انفسهم: «**أن أقيموا الدين ولا تتفرّقوا فيه**»، وثانياً على أتْباعهم: «**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَميعاً وَلَا تَفَرَّقُوا**» 7 أن يكونوا في صدد العمل بها. والمسألة التالية هي أنّه إذا لم يحصل ذلك ونشب الاختلاف فما الذي ينبغي فعله؟ سوف نطرح هذا الموضوع في المحاضرة التالية بمشيئة الله تعالى.

وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين

---

1. سورة السجدة، الآية 7.
2. سورة الأنعام، الآية 165.

3. سورة البقرة، الآية 213.
4. سورة البقرة، الآية 79.
5. سورة الأعراف، الآية 37.
6. سورة الشورى، الآية 13.
7. سورة آل عمران، الاية 103

الجلسة الثانية: الوحدة و الاختلاف

بسم الله الرحمـٰـن الرحيم

هذا الذي بين أيديكم هو عصارة لمحاضرة سماحة آية الله مصباح اليزديّ (دامت بركاته) ألقاها في مكتب سماحة وليّ أمر المسلمين بتاريخ 14 آب 2010م الموافق لليلة الرابعة من شهر رمضان المبارك من العام 1431هـ ، نقدّمها من أجل أن تزيد توجيهات سماحته من بصيرتنا وتكون نبراساً ينير لنا درب هدايتنا وسعادتنا.

الوحدة والاختلاف

خلاصة ما فات:

قلنا في المحاضرة الفائتة إنّنا سنتعرّض قبل الخوض في بحث خطبة السيّدة الزهراء (سلام الله عليها) لبحث مقتضب حول «الوحدة والاختلاف». لقد أشرت الى أنّه يُلقَى في الأذهان أحياناً أنّ الوحدة هي قيمة مطلقة وأنّه كلّما كان الناس أشدّ اتّحاداً فيما بينهم من دون أيّ قيد أو شرط فذلك أمر مطلوب؛ لكنّ مثل هذه الأحكام تكون مقيّدة بقيود في الغالب لا يُتطرَّق إليها أثناء الكلام. فهي من القضايا المسلّمة أو الآراء المحمودة، والحال أنّه من أجل استخدامها في البرهان فإنّه يلزم تقييد موضوع مثل هذه القضايا. فحُسن الصدق وقبح الكذب هما من هذا القبيل؛ إذ ليست القضيّة أنّه يمكن القول مطلقاً: «إنّ كلّ صدق فهو حسن وإنْ تسبّب في استشهاد مؤمن بريء»، أو «إنّ كلّ كذب فهو قبيح وإن أوجَب نجاة إنسان بريء». فالأمر ليس كذلك من وجهة النظر الإسلاميّة؛ فإن كان الكذب سبباً لنجاة

نفس مؤمنة أصبح واجباً؛ ولكنّ القضيّة المشهورة والتي يتمسّك بها الجميع هي أنّ الكذب قبيح. وهذه القضيّة هي ــ في الحقيقة ــ مقيّدة.

وحُسن الوحدة والاتّحاد هو من هذا القبيل أيضاً. فالوحدة حسنة جدّاً، بشرط أن تكون في سبيل هدف ذي قيمة. فإنِ اتّحد قوم على غصب حقّ امرئ، فإنّ هذه الوحدة وذلك الاتّحاد هما سيّئان بقدر ما لذلك الذنب من السوء؛ إذن فحُسن الوحدة والاتّحاد هو من القضايا المشهورة أو الآراء المحمودة التي تقيّد بقيد خفيّ؛ أي إنّ الوحدة الحسنة هي التي تكون في سبيل الحقّ ومن أجل تحقّق هدف عقلانيّ، وليست أيّ وحدة. فلو كانت كلّ وحدة جيّدة لَما كان ينبغي أن ينهض الأنبياء أساساً؛ ذلك أنّ الغالبيّة العظمى من المجتمع البشريّ كانوا من عبدة الأوثان، ونهضة الأنبياء كان من شأنها أن تنسف وحدة المجتمع. بل إنّه لابدّ من القول: إنّ اختلافاً كهذا هو مبارك للغاية ويتحتّم إيجاده كي تُزال رواسب الفساد بالتدريج؛ إذن فقيمة الوحدة ليست هي قيمة ذاتيّة ولا مطلقة. فالوحدة والاتّحاد لا يكونان مطلوبين إلاّ إذا دارا حول محور الحقّ.
هذه هي عصارة البحث الذي قدّمناه ليلة أمس.

البحث المنطقيّ هو أنجع السبل لحلّ الاختلاف:

لقد طرحنا بالأمس سؤالاً مفاده: إذا نشب الاختلاف في المجتمع فما الذي ينبغي فعله؟ أحياناً يكون الاختلاف المذكور ذوقيّاً ولا يمتلك أيّ من الطرفين فيه قيماً أخلاقيّة أو دينيّة أو عقليّة ثابتة؛ فمثل هذه الاختلافات غير ذات أهمّية؛ نظير أن يميل

أهل مدينة ما إلى موضة خاصّة في ملبسهم ويتذوّق أهل مدينة أُخرى موضة غيرها، أو أن الناس كانوا في الماضي يحبّذون طرازاً خاصّاً من البناء بحيث يحتلّ المبنى أحياناً ألف متر مربّع من الأرض في حين أنّهم الآن يفضّلون بناء مترل على أرض لا تزيد مساحتها على سبعين أو ثمانين متراً، كما وقد اقتضت الظروف تغييراً في شكل البناء أيضاً. فهذه الاختلافات ليس لها أهمّية تُذكر وما لم تعرِض عليها عناوين ثانويّة فلن تُحكم بالحلّية أو الحرمة.

لكنّ الاختلاف يعود أحياناً أُخرى إلى القيم الحقيقيّة التي يؤكّد عليها الدين. فالأنبياء يقولون: «إذا سلكتَ هذه الطريق واعتمدت هذا السلوك كنت سعيداً مدى الحياة، لكنّك إن اخترت خلاف ذلك عشت شقيّاً الى أبد الآبدين»! فالقضيّة هاهنا ليست قضيّة ذوق؛ بل المسألة بالغة الجدّية. يقول القرآن الكريم في هذا الصدد: «**إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالاً وَسَعِيراً**»1؛ فإن أنتم سلكتم سبيل الضلال فالنتيجة ستكون الاغلال والسلاسل والنار الموقدة. فهنا لا يمكننا القول: «إنّ الأمر ليس مهمّاً إلى هذا الحدّ؛ وليعمل كلٌّ بما يمليه عليه ذوقه»، فعقل الإنسان لا يجيز له التغافل عن احتمال كهذا ــ مهما كان الاحتمال ضعيفاً ــ وذلك لأنّ المحتمَل بالغ القوّة. فعندما يكون المحتمَل قويّاً فحتّى الاحتمال بنسبة الواحد بالمائة يكون منجزاً. فإنّ حاصل ضرب الاحتمال بِأُسّ المحتمَل هو الذي يحدّد قيمة الاحتمال. فإذا حصل الاختلاف في هذا النمط من الامور فلابدّ عندها من معرفة الطريق القويم.

وإذا حصل الاختلاف في مصداق كلام الأنبياء؛ كأنْ يقول قوم: إنّ طريقتنا هي مصداق كلام الأنبياء، ويقول آخرون: إنّ طريقتنا هي مصداق ذلك، فإنّ القاعدة الأوّلية هي أن يُثبت الإنسان المصداق الحقيقيّ على أساس المنطق والاستدلال

العقليّ؛ ذلك أنّنا نعتقد بأنّ ما جاء به الأنبياء (عليهم السلام) قد أتمّ الحجّة البالغة على جميع البشر: «**رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ**» 2. فسبيل الأنبياء هو على مستوىً من الوضوح والإتقان في الأدلّة بحيث لا يتيح لأحد مجالاً للاحتجاج والتذرّع؛ ومع ذلك فإنّه من الممكن أن يحاول الشياطين تعكير صفو الماء والسعي ـــ بمرور الوقت، وعبر خلق الشبهات والبدع ـــ لجعل الطريق غير واضحة. يقول القرآن الكريم في هذا المجال: «**وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَـــاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ**» 3؛ فإنّ قوماً قد غرسوا الاختلاف عمداً كي يتاجروا في الدين. مثلاً قالوا: «إنّ قصد النبيّ الفلانيّ هو هذا» كي يشكّلوا فرقة، ويترأسّوا على الناس، ويمتطوا ظهورَهم! فتكون نتيجة بثّ مثل هذا الاختلاف أن تحلّ بالأجيال القادمة ظروف يصعب معها جدّاً تمييز الحقّ من الباطل. فما الذي يجب فعله في مثل هذه الحالات؟ في ظروف كهذه يحكم العقل بأنّ الطريق الأمثل والسبيل الأنجع هي أن يجلس المختلفون الى طاولة الحوار وان يبحثوا الموضوع بتعقّل ليتبيَّن لهم أيّ الأدلّة صحيح وأيّها سقيم.

لكنّنا قلنا إنّ إحدى الطائفتين كانت قد تعمّدت زرع الاختلاف وإنّ هؤلاء غير راغبين في انكشاف الحقّ وانجلاء الغبرة. فالكثير من زعماء الفِرق الباطلة ليسوا على استعداد للجلوس الى طاولة البحث وإلقاء الضوء على خفايا الامور؛ ذلك أنّ ما يصبوا إليه أمثال هؤلاء هو عين هذا الإبهام بغية أن يتمكّنوا في ظلّه من أن يجمعوا حولهم حفنة من المريدين. وفي التعامل مع هذا اللون من الاختلافات لابدّ من الالتفات إلى أنّه يوجد بين صفوف أتباع هؤلاء المخادعين مَن هم ـــ حقيقةً ـــ طلاّب حقّ، لكنّهم واقعون في شبهات. فهم شديدو الثقة بزعمائهم الأمر الذي

جعلهم معتقدين بطريقتهم الباطلة. إنّني شخصيّاً وخلال مسيرة حياتي التى امتدّت سبعين عاماً ونيّفاً قد التقيت بعدد لا بأس به من هذا الصنف من الناس. في الواقع هناك الكثير من أتباع الفرق الإسلاميّة المختلفة، والمسيحيّة، وغيرها من الديانات ممّن إذا ثبت لديهم أنّ الإسلام ومذهب أهل البيت (عليهم السلام) هو وحده المذهب الحقّ فإنّهم سيقبلون به لا محالة. أنا لا أزعم أنّهم جميعاً على هذه الشاكلة؛ فلا يشتبهنّ الأمر على أحد؛ بل إنّ ثمّة أيضاً مَن يشعر إزاء أهل البيت (عليهم السلام) والشيعة بعناد خاصّ. فهؤلاء يعيشون مستوىً من العناد بحيث إنّهم لو شاهدوا في كتاب قصّةً أو رواية تصبّ في صالح الشيعة فانّهم يعمدون على الفور إلى حذفها في الطبعة التالية. لاحظوا قبح هذا الموقف! إنّ هذه لخيانة بحقّ التاريخ، والوثائق التاريخيّة، والحقيقة، والبشريّة.

التسليم في مقابل الحقّ هو سرّ السعادة:

نسأل الله أن لا يتغلغل هذا العناد وهذه اللجاجة في أنفسنا؛ بيد أنّه علينا الاستعاذة بالله من الوقوف بوجه الحقّ! فالقرآن الكريم يقول: «**تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**» 4؛ فإنْ نحن عمدنا إلى تغيير هذه السجيّة الشيطانيّة في أنفسنا أثناء مرحلة الشباب، وعوّدنا أنفسنا على الانصياع للحقّ باستمرار، وسارعنا إلى الاعتراف بالخطأ إذا التفتنا إلى أنّنا مخطئون في موضعٍ ما؛ فأنا أُقسم بالله بأنّه لن يصيبنا ضرر قطّ. جرّبوا، وسترون أنّكم ستصبحون أكثر عزّة؛ بيد أنّ الشيطان لا يدعكم تفعلون ذلك. فنحن أحياناً نلتفت إلى خطئنا، إلاّ أنّنا نصرّ عليه. إنّ وجود هذه الصفة على مستوى رؤساء الأُمّة،

وقادها وزعمائها هو ممّا يؤدّي إلى فساد فادح. على أيّ حال فإنّ الناس المعاندين موجودون أيضاً. إذ يقول عزّ من قائل في هذا الباب: «**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ * خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**» 5، كما ويقول في سورة يٰس: «**وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ * وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ * إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَـٰنَ بِالْغَيْبِ**» 6. فليس الجميع تابعين للدليل والبرهان؛ لكن في الوقت ذاته لا ينبغي الظنّ بأنّ الكلّ معاندون. لعلّ أغلب الناس هم من الذين يؤمنون بالحقيقة إذا اكتشفوها. كما أنّ جانباً من التقصير يقع على عاتقنا حيث انّنا لم نبيّن الحقائق للآخرين كما ينبغي.

فالسبيل الصحيحة والمنطقيّة الواجب سلوكها في مثل هذه الخلافات هو أن نحاول جهدنا أن نعرّف الطرف المقابل بالحقيقة من خلال الدليل والمنطق وباتّباع الأساليب التي لا تثير تعصّبه. فعندما يخاطبنا شخص بلسان المنطق واللين نقرّ بأخطائنا؛ لكنّه عندما يتحدّث إلينا منذ البداية بفظاظة وخشونة، أو بكيل الإهانات أحياناً، فسنتّخذ منه في المقابل موقفاً سلبيّاً. فلو أنّنا خاطبنا الناس بكلام منطقيّ واُسلوب رصين فإنّه ستُزال الكثير من الخلافات. لقد قال المرحوم آية الله بهجت (رضوان الله عليه) في إحدى المناسبات: إنّه من غير الصحيح إذا تحدّثنا مع شخص سنّي المذهب أن نبتدئ بطرح المواضيع التي تثير حفيظته مستخدمين اُسلوباً حادّاً وشديداً. وكان سماحته يقول: إنّ الطريق الأنجع هي أن نقول لهم: إنّكم تتّبعون في الفقه أربعة من العلماء الكبار؛ هم أبو حنيفة، والشافعيّ، ومالك، وأحمد بن حنبل. فأمّا أبو حنيفة ومالك

فقد تتلمذا مباشرةً على يد الإمام الصادق (عليه السلام) وكانا يفتخران بذلك. فقد روي عن أبي حنيفة قوله: «ما رأيت أفقه من جعفر بن محمّد». وفي موضع آخر يقول: «لولا السنتان لهلك النعمان»! والنعمان هو اسم أبي حنيفة. فهل تقليد التلميذ يمنع من تقليد الأُستاذ؟! فنحن نقلّد الاستاذ وأنتم تقلّدون التلميذ! فلماذا لا تضعون مذهب التشيّع ضمن لائحة المذاهب المعتبرة و المعترف بها؟ ففي مقابل هذا الكلام لن يجدوا بُدّاً من الإذعان والقبول. أيكون تقليد التلميذ جائزاً وتقليد الأُستاذ غير مُستساغ؟! عندما يعترف التلميذ بنفسه بأنّ اُستاذي أفضل منّي بكثير وأنّ كلّما لدي فهو منه؟! فما من منطق على الإطلاق يقبل بذلك. وهذا هو عين الأُسلوب الذي طرحه المرحوم الشيخ محمود شلتوت عندما اعتبر مذهب التشيّع من المذاهب المعترَف بها في مصر وهذا الأمر هو من بركات الخطوة التي أقدم عليها المرحوم آية الله البروجرديّ (رضوان الله تعالى عليه) في تأسيسه لدار التقريب بين المذاهب. فإنْ فُتح هذا الباب ووجدوا في أنفسهم الاستعداد لأن يقيموا للإمام الصادق (عليه السلام) وزناً إلى جانب أبي حنيفة فهذا هو بمثابة إضفاء الرسميّة على مذهب التشيّع. وهذا سيؤدّي بدوره إلى دخول كتبنا إلى بلدانهم بشكل رسميّ. فإذا تعرّفوا على معارف أهل البيت (عليهم السلام) فسيدخل طلاب الحقيقة منهم إلى التشيّع تدريجيّاً. فليسوا قلّة هم طلاب الحقيقة الذين تقطع عليهم الشياطين طريقهم. فلو أنّنا استخدمنا معهم الأُسلوب السلميّ فسوف يكتشفون الطريق.

لقد التقيت أثناء رحلاتي إلى دول مختلفة مع أشخاص لا تقلّ محبّتهم لأهل البيت (عليهم السلام) عمّا هو متعارف بيننا نحن الشيعة. ففي أندونيسيا التقيت بشيخ مصريّ ألقى كلمة حول أهل البيت (عليهم السلام). فبادرته بالسؤال: يبدو أنّكم،

أيّها المصريّون، تكنّون المودّة لأهل البيت (عليهم السلام)؛ فأجابني قائلاً: «بل نحن مفتونون باهل البيت»! فلو أنّنا اتّبعنا الاسلوب الصحيح في التبليغ وعرّفناهم بمعارف التشيّع بشكل سليم فسيدخل الكثير منهم إلى التشيّع حتماً؛ غير أنّنا مقصّرون في هذا المضمار. إنّنا نتحمّل المسؤوليّة في ذلك أمام صاحب شريعتنا ومذهبنا!

التعامل مع المعاندين يكون بالبحث المنطقيّ المشفوع بالأدب:

لكن ما هو تكليفنا تجاه المعاندين واُولئك المتأثّرين بدعايتهم إلى درجة اليقين بأنّ مذهبهم هو الحقّ ومذهب التشيّع هو الباطل؟ فإن نحن تهاونّا في تبيين الحقّ وإثبات بطلان مذاهب الباطل فسنكون قد خنّا الله والرسول والإنسانيّة والشهداء والأجيال الماضية والتي ستأتي لاحقاً. وفي هذه الحالة سنكون نحن أيضاً من اُولئك الشياطين الذين يصدّون عن سبيل الحقّ: «**وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ**»7. فعندما لا نبيّن الحقيقة فإنّنا نفسح المجال لهم باستغلال الموقف بحيث يقولون: «لو كان لديهم ما يُقال لقالوه ودافعوا به عن أنفسهم». إذن فما هو واجبنا تجاه أشخاص كهؤلاء؟

إنّ أصل مسألة حفظ الوحدة يكمن في هذه القضيّة؛ وهي أنّنا لو تبنّينا الاسلوب الفظّ والخشن والمتعصّب في التعامل فماذا ستكون النتيجة؟ ستكون النتيجة هي أن يزداد المعاندون عناداً على عنادهم وتُعطى الذريعة بيد اُولئك المبتلين بالباطل جرّاء جهلهم بأن يولّوا وجوههم عنّا ويقولوا: «إذا كان هؤلاء على حقّ فلماذا هذه الغلظة في الكلام وما الداعي إلى السباب؟! فيا ليتهم يبيّنون حقّهم بالدليل». فطريقة كهذه تكون مدعاة لأن ينسبوا البطلان لنا. إذن فالتعاطي معهم بتعصّب، أي تبيين

المبحث من دون دليل وبطريقة فظّة، إذا لم يؤدّ إلى نتيجة معكوسة فإنّه لن يعطي الثمرة المطلوبة أيضاً. فالكلام المنطقيّ هو الذي ينتهي إلى نتيجة. فلا ينبغي الوقوف أمام الكلام المنطقى، إذ ليس هناك أيّ دليل منطقيّ للوقوف أمام الكلام المنطقيّ؛ أمّا في المقابل فإنّ السلوك الفظّ، والنابع عن عصبيّة، والمثير للخصومات، والمؤجّج للأحقاد والضغائن فليس هناك دليل عقليّ يدعمه ولا دليل شرعيّ يؤيّده.

قد يقول قائل: «إنّ بعض الأشخاص قد لُعنوا في زيارات المعصومين (عليهم السلام) ونحن نلعن المصاديق التى يمثّلها هؤلاء على أساس تلك الزيارات». لكن في تلك الروايات و الزيارات لم يقولوا لنا: اذهبوا وارتقوا المنابر والمآذن والعنوا، أو اذهبوا والعنوا عبر مكبّرات الصوت! فمن غير الضروريّ أن نأتي بفعل في حضور الآخرين بحيث يكون من شأنه أن يثيرهم وتكون النتيجة أن يواجه الشيعة في بلدان اُخرى المتاعب، فتُستباح دماؤهم، ويُقتّلون، ثمّ لا نجني من ذلك أيّ ثمرة! فأيّ دليل عقليّ أو شرعيّ يتوفّر على مثل هذا العمل؟! أجل، إنّ القرآن قد لعن أشخاصاً بصراحة في مواطن كثيرة؛ بل إنّه قال: «**أُوْلَـٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّـٰعِنُونَ**»8. فهذا هو لعن القرآن الكريم؛ لكن ليس هناك من ضرورة بتاتاً في أن نقف في مقابل الذين نتّفق معهم في مائة مسألة ــ على سبيل المثال ــ ويحترم كلّ منّا مقدّسات الآخر، ولا نختلف فيما بيننا إلاّ في بضع مسائل، أن نقف منهم موقف المخاصمة لنثير حفيظتهم فيصبحوا بالنسبة لنا ألدّ من أيّ عدوّ! فما هو الدليل العقليّ على هذا الفعل؟ والحال أنّنا نمتلك الحقّ في أن نجلس في المحافل العلميّة، وفي أجواء ودّية، بعيداً عن التعصّبات، وفي بيئة يسودها البحث والتحقيق لنناقش الحقائق، وننظر أيّ التواريخ صحيح وأيّها خطأ. فإن نحن أحجمنا عن فعل ذلك فإنّ في ذلك ــ بالمصطلح المعاصر ــ خيانة للعلم، وبلسان الدين نكون قد خُنّا الله، والرسول،

والإمام الراحل (رحمه الله)، والشهداء، والحقيقة. فإن لم تبيّن تلك الحقائق ويتمّ إثباتها فأنّى لأجيال المستقبل أن تفهم الحقيقة؟ أنا وأنتم قد فهمنا الحقيقة من خلال مجالس الوعظ، والمساجد، والحسينيّات، والمراثي، ومراسم العزاء، ومجالس الفرح، وما إلى ذلك. فمن دون تلك الأُمور من أين كنّا سنفهم الحقيقة؟ فإذا نحن لم ننهض بهذا الواجب، نكون قد خنّا الأمانة ولم نبلّغ الحقّ إلى أهله. فالبحث والتحقيق في المسائل العقائديّة والقضايا التاريخيّة الذي يعطي ثماراً عقائديّة ودينيّة ومذهبيّة هو فريضة عقليّة وشرعيّة. فهذا الباب لا ينبغي إغلاقه؛ لكنّه يتعيّن علينا حفظ احترام الطرف المقابل وعدم إثارة مشاعره من دون مبرّر. لا ينبغي أن نطرح اُموراً ليست في محلّها لا تؤدّي إلى أيّ نتيجة في إثبات الحقّ؛ بل على العكس تُسهم في تفاقم عناد المعاندين ولجاجتهم، وأحياناً تتمخّض عن عداوات تكون حصيلتها قتل اُناس أبرياء. فتاريخ التشيع يُظهر لنا كم من الشيعة قد استشهدوا على أيدي أشخاص جهلة أو معاندين في إثر كلام قاله شيعيّ آخر في بلد ثان. فبقطع النظر عن الناحية الدينيّة، فهل من العقل في شيء أن يقوم المرء بعمل تكون نتيجته تقديم جماعة من أصدقائه وأعزّائه، ممّن هم أغلى من النفس، إلى القتل؟! وتأسيساً على ذلك فإنّ في أعناقنا واجبين لا ينبغي الخلط بينهما: أحدهما هو أن لا نفعل شيئاً يثير ضدّنا مشاعر الذين التبس عليهم الأمر أو أهل العناد ــ لا قدّر الله ــ فيتفاقم عداؤهم لنا؛ وهذا ما يسمّى حفظ الوحدة. والثاني هو أن لا نحجم عن بيان الحقائق والسعي لإثباتها في المحافل العلميّة.

إنّ من أعظم الخدمات التي اُسديت في القرن الأخير على صعيد إحياء مذهب التشيّع وإثبات حقّانيته تلك التي قام بها في بلاد الهند المرحوم صاحب «عبقات الأنوار»،

وفي النجف الأشرف المرحوم العلامة الأمينيّ (رضوان الله تعالى عليهما) عبر تصنيفه لكتاب «الغدير». أيّ خدمات جليلة أسداها هذان العظيمان وأيّ تضحيات قدّماها في هذا السبيل! أيّ آلام كابداها من أجل أن يرى هذان الكتابان النور! وأيّ عشق كان يكنّه العلاّمة الأمينيّ لأهل البيت وأمير المؤمنين (عليهم السلام) حتّى إنّ مجرّد سماع اسم أمير المؤمنين (عليه السلام) كان من شأنه أن يُسيل الدموع من مقلتيه! لكنّه لم ينَلْ في كتابه، ولا حتّى في موضع واحد، من أيّ واحد من الشخصيّات التي يكنّ لها أهل السنّة التبجيل والاحترام؛ بل لقد ألحق أسماءهم أينما ذكرها بعبارة «رضي الله عنه». فبهذا الاسلوب يتمكّن المرء من بيان الحقيقة من ناحية، ولا يعطي الذريعة بيد المخالف من ناحية اُخرى، وإذا كان هناك طالب للحقيقة فإنّه سيستسلم للحقّ. فلابدّ من إزالة هذا الحجاب الحائل الذي أسدله الشيطان اللعين بيننا وبين السنّة. ينبغي التصرّف بالشكل الذي يجعلهم على استعداد لقراءة كتبنا وإدراجنا في عداد المسلمين. بالطبع إنّ جزءاً من عمليّة تكوّن هذا الحجاب المانع هو حصيلة بعض التصرّفات الغير المدروسة من قبل بعض الشيعة. فإذا اعتبرنا أنفسنا مسؤولين عن نشر مذهب التشيّع وحفظ حقيقته للأجيال القادمة، فإنّه ينبغي لنا ــ من جانب ــ أن نعمد إلى إثباته عبر الأدلّة العقليّة والمنطقيّة والشواهد التاريخيّة، وأن لا نتعرّض ــ من جانب آخر ــ للشخصيّات التي تثير حساسيّتهم. فإنّ الأدلّة هي على جانب من الوضوح والجلاء إلى درجة أنّ المرحوم ماموستا شيخ الإسلاميّ، النائب الشهيد لأهالي كردستان في مجلس خبراء القيادة، كان يقول: «إنّني لأعتقد، وأقولها بكلّ صراحة، أنّ الذي يتجاسر على السيّدة الزهراء (سلام الله عليها) هو كافر!».

على أيّ حال فإنّ قضيّة البحث في المسائل العقائديّة والتاريخيّة الرامي لإثبات حقّانية مذهب التشيّع، الأمر الذي يصبّ ــ عرَضاً ــ في إبطال سائر المذاهب المخالفة، هو من تكاليفنا الشرعيّة القطعيّة التي لا بديل لها على الإطلاق؛ لكن بشرطها وشروطها وهو أن يكون مشفوعاً بمراعاة الأدب وأن لا نثير الآخرين فنضاعف الحجاب الموجود بيننا، ويحلّ الاختلاف محلّ الاتّحاد، ولا يدَع المسلمين يتقاربون من بعضهم، ويقفون صفّاً واحداً في مواجهة عدوّهم.

وفّقنا الله وإيّاكم إن شاء الله

---

1. سورة الإنسان، الآية 4.
2. سورة النساء، الآية 165.
3. سورة البقرة، الآية 213.
4. سورة القصص، الآية 83 .
5. سورة البقرة، الآيتان 6 و7.
6. سورة يٰس، الآيات 9 ــ 11.
7. سورة الزخرف، الآية 37.
8. سورة البقرة، الآية 159.

الجلسة الثالثة: الوحدة حول محور الحق

بسم الله الرحمـٰن الرحيم

هذا الذي بين أيديكم هو عصارة لمحاضرة سماحة آية الله مصباح اليزديّ (دامت بركاته) ألقاها في مكتب سماحة وليّ أمر المسلمين بتاريخ 15 آب 2010م الموافق لليلة الخامسة من شهر رمضان المبارك من العام 1431هـ، نقدّمها من أجل أن تزيد توجيهات سماحته من بصيرتنا وتكون نبراساً ينير لنا درب هدايتنا وسعادتنا.

الوحدة حول محور الحقّ

تقوية الحقّ هو هدفنا من الوحدة:

لقد طرحنا في المحاضرتين الماضيتين مباحث حول الوحدة والاتّحاد، قلنا فيها إنّ قيمة الوحدة منوطة بقيمة الهدف الذي اوجدت من أجله. فإن كان هدف الوحدة هو تحقّق حقٍّ ما فسيكون لحفظ هذه الوحدة من القيمة بمقدار ما لذلك الحقّ منها، وعلى العكس؛ فإن أُنجزت الوحدة في سبيل إبطال حقّ أو تحقّق باطل، فلن تكون عديمة القيمة فحسب، بل سيكون لها من القيمة السلبيّة ما يعادل القيمة السلبيّة لذلك الباطل.

الملاحظة الأُخرى التي تستحقّ الاهتمام هنا هي أنّ الاتّحاد والانسجام إنّما يتيسّران على صعيد السلوك، وإلاّ فمن غير الممكن أن نؤسّس مبنانا على اتّباع الغير فيما يتعلّق بالفكر والعقيدة والإيمان؛ بالضبط كما أنّه لا معنى للإكراه في الدين، سواء كان حقّاً أم باطلاً. وإذا اتّفق أن حصل الإكراه فإنّه سيكون على إنجاز عمل أو تركه؛ فغاية ما يستطيع المُكرِه فعله هو منع المقابل من العمل بما يعتقد به، أو إكراهه على القيام بما يخالف مقتضى اعتقاده. فقصّة ياسر وسميّة وعمّار هي أنّهم قد أُكرهوا من قبل المشركين على التبرّي من الإسلام؛ لكنّه لم يتمكّن المشركون من سلبهم ما يعتقدون به. فياسر وسميّة قد صمدا وقاوما و لم يبديا استعداداً لإظهار البراءة من الإسلام، فعمد المشركون بدورهم إلى قتلهم. أمّا عمّار فقد أظهر البراءة باللسان فأنقذ حياته؛ لكنّه كان في غاية الاضطراب من أنّ فعله هل كان صحيحاً أم لا. وقد أتى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وهو في حالة الاضطراب تلك فقال له:

«**أخشى أن أكون قد هلكت**»، وروى للنبيّ (صلّى الله عليه وآله) ما جرى، فنزلت الآية الكريمة: «**مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ**»1.

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ما مضمونه: «حسناً فعلت؛ فقد عملت بالتقيّة وأنقذت حياتك من دون أن يطرأ على إيمانك أيّ شكّ أو اضطراب».

فلا يمكن تغيير العقيدة القلبيّة من أجل الآخرين أو في سبيل حفظ الوحدة، فهذا أمر مستحيل. فالعقيدة والإيمان يتبعان مبادئ خاصّة؛ إن وُجدت تلك المبادئ وُجد الإيمان، وإن فُقِدت فُقِد. إنّ ما يدور حوله موضوع بحثنا هو الانسجام في «السلوك» من أجل حفظ الوحدة والاتّحاد. فالسلوك والتصرّف إنّما يقعان موضوعاً للتقيّة والائتلاف العمليّ. فمن الممكن أن يكون هذا الائتلاف صحيحاً في مواطن معيّنة إذا كانت الغاية منه تحقيق هدف سام وقيّم.

توجد في الإسلام سلسلة من الأحكام تتْبَع عناوين خاصّة يُطلق عليها في الفقه «العناوين الثانويّة»، حيث تسمّى الأحكام التي يتمّ إثباتها تبعاً لها بـ«الأحكام الثانويّة». لقد وردت أغلب تلك العناوين في النصوص القرآنيّة والروائيّة؛ وكمثال على ذلك الاضطرار؛ كما في قوله تعالى: «**إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ**»2؛ أي إنّ الذي يدفعه الاضطرار إلى تناول الطعام الحرام من دون أن يكون ظالماً أو معتدياً فإنّه لا إثم عليه؛ بمعنى أنّ الحكم الأوّلي قد رُفع بواسطة الاضطرار. وهذا هو ما يُطلق عليه بالحكم الثانويّ. ويقول عزّ من قائل في آية أُخرى: «**لاَ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَنْ تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَـٰةً**»3؛ فالله عزّ وجلّ لا يُجيز أن تكون لكم مع الكفّار علاقات ودّية، اللهمّ إلاّ أن تحذروهم وتتّقوهم. فالتقاة هنا بمعنى التقيّة. وإنّ التقوى، والتقيّة، والتقاة هي كلّها اسم مصدر من الفعل «اتّقى» وهي تشترك في معنى واحد. وهذا أيضاً هو عنوان ثانويّ وله حكم ثانويّ.

جاء في مبانينا الفقهيّة أنّ التقيّة تكون ضروريّة أحياناً حتّى بين المسلمين أنفسهم. فقصّة عمّار كانت تقيّة مع المشركين؛ لكنّ أحاديثنا تخبرنا بأنّ هذا النمط من التقيّة جارٍ حتّى بين المسلمين أنفسهم، وهو عندما يختلف المسلمون فيما بينهم ويشتدّ هذا الخلاف إلى درجة أنّ المسلم إذا لم يتّبع المسلم الآخر في العمل فإنّ حياته تصبح عرضة للخطر. فموضوع ما رُوي عن جميع المعصومين (صلوات الله عليهم أجمعين) من أنّ: «**التقيّة ديني ودين آبائي**»4 هو هذا بالتحديد. فحقيقة هذه المسألة هي أنّ

أمر الإنسان يدور بين أن يأتي بفريضة كما يأتي بها أفراد فرقة معيّنة؛ كأن يصلّي متكتّفاً ويحافظ على حياته، وبين أن يأتي بها طبقاً للحكم الأوّلي ويعرّض حياته للخطر. في مثل هذه المسائل تتزاحم مصلحة العناوين الثانويّة مع مصلحة الحكم الأوّلي فيأتي الشارع المقدّس ليعتبر أنّ تلك المصلحة المانعة من العمل بالحكم الأوّلي أهمّ؛ ومن هذا المنطلق يقول: عليك أن تغضّ الطرف عن الحكم الأوّلي وتعمل بالحكم الثانويّ. وهذه هي عين التقيّة التي أفتى بها جميع الفقهاء والتي نعرفها جميعاً. كما أنّ عندنا لوناً آخر من التقيّة وهو ما أكّد عليه الإمام الراحل (رضوان الله تعالى عليه) بالخصوص وأفتى به فقهاء آخرون أيضاً وهي «التقيّة المداراتيّة»؛ وبيانها أنّ حياة المرء أحياناً لا تكون في خطر إذا طبّق دينه حسب ما يمليه عليه مذهبه، لكنّ مصلحة اجتماعيّة إسلاميّة هي التي تصبح في معرض الخطر؛ إذ قد يتفشّى الافتراء، وتسود العداوة، والضغينة، ويحصل التشتّت بين صفوف المسلمين فيستغلّ الأعداء هذا الوضع وتذهب عزّة المجتمع الإسلاميّ ومصالحه أدراج الرياح. لقد بيّن الإمام الراحل (رضوان الله عليه) الكثير من الاستدلالات على هذه المسألة، وتحليلها هو أنّه في هذه القضيّة يقع تزاحم بين مصلحة الحكم الأوّلي ومصلحة اجتماعيّة تتمثّل في حفظ عزّة المسلمين واقتدارهم في مقابل العدوّ. لقد طرح الإمام الخمينيّ (رحمة الله عليه) استدلالات مفادها أنّ الكثير من روايات التقيّة تصبّ في هذا الوادي، وليست جميعها متعلّقة بـ«التقيّة الخوفيّة».

اتّضح لحدّ الآن أنّ قيمة التقيّة، أي قيمة العمل بالحكم الثانويّ إنّما تستند إلى المصلحة التي ينطوي عليها الحكم الثانويّ؛ وعليه فإن أدّت التقيّة إلى تضييع مصلحة أقوى فهي غير جائزة. يقول الإمام الراحل (رضوان الله تعالى عليه) في هذا الباب:

التقيّة بشقّيها الخوفيّ والمداراتيّـــ لا تكون مشروعة إلاّ إذا لم تؤدّ إلى تفويت مصلحة أقوى. فقد كان تعبيره في هذا المجال هو: «**التقيّة لا تكون في مهامّ الأُمور**»؛ وبناءً على ذلك فإذا تعرّضت حياة النبيّ أو الإمام المعصوم للخطر، أو خيف من خطر الهجوم على بيت الله الحرام فلا تجوز التقيّة حينئذ. فحفظ النفس في هذه الحالة سوف يؤدّي إلى تضييع مصلحة أقوى. لقد قال الإمام (رحمة الله عليه) أثناء أحداث مقارعة الطاغوت: «**اليوم التقيّة حرام ولو بلغ ما بلغ!**» وحكمه هذا كان ينطلق من رؤيته بأنّ الإسلام كان في خطر. فهل قيمة أنفسنا أعظم يا ترى، أم قيمة الإسلام؟! فهو (رحمه الله) كان قد شخّص أنّ الإسلام في خطر، ومن هذا المنطلق قال: «**التقيّة حرام ولو بلغ ما بلغ**». فإذا كان لابدّ في سبيل حفظ الإسلام أن يُقتل المئات بل الآلاف من البشر فليقتلوا ليبقى الإسلام مصوناً.

كلّ ذلك يرجع إلى أنّ نفس التقيّة ليس لها قيمة بحدّ ذاتها، بل قيمة التقيّة ترتبط بتلك النتيجة المترتّبة عليها. فلو قُدّر أن تكون نتيجة التقيّة هي التفريط بشيء هو أعظم من أنفسنا، ووحدتنا، فما قيمة هذه التقيّة حينئذ؟! بطبيعة الحال يجب أن يُعهد بتشخيص مثل هذه الأُمور إلى الفقيه العالم بزمانه والمدرك لظروف المجتمع. فهو الذي يمكنه الحكم بأنّ التقيّة لم تعد جائزة. وعلى أيّ حال فإنّه يوجد في الدين الإسلاميّ شيء من هذا القبيل؛ وهو أن يثبت حكم بعنوان كونه حكماً أوّلياً ثمّ تعرض مصلحة أقوى فيترتّب على الموضوع، من أجل حفظ هذه المصلحة الأهمّ، عنوان ثانويّ يتغيّر الحكم على اساسه. هذه المسألة لها مصاديقها أيضاً في المسائل الاجتماعيّة التي من جملتها التقيّة؛ وتأسيساً على ذلك فإن أدّت التقيّة إلى فناء أصل التشيّع وطوى النسيان حقيقة التشيّع، شيئاً فشيئاً، بسبب امتناعنا نحن عن الدفاع

عن معارف هذا المذهب، فإنّه لن يعود للتقيّة معنى هنا. فهل أرواحنا أعزّ وأغلى من حقيقة التشيّع يا ترى؟! بالطبع إذا كان هناك خطران، يهدّد أحدهما أصل الإسلام ولا يهدّد الآخر سوى مذهب التشيّع، فعندئذ، لابدّ من غضّ الطرف كاملاً عن مذهب التشيّع وبذل كافّة الجهود من أجل أن يبقى أصل الإسلام والقرآن مصونين؛ لكنّ هذا الفرض يندر جدّاً تحقّقه وليس من المعلوم أنّه هل سيتحقّق يوماً أم لا.

إذن فلا يتصورنّ أحد أنّ نفس الوحدة هي قيمة مطلقة وأنّه يتعيّن حفظ الاتّحاد مهما كان الثمن وفي أي بقعة من الأرض. نفهم من ذلك أنّ الوحدة مع أُولئك الذين سلكوا طريق الباطل وهم ينادون الآن بالوحدة من أجل المحافظة على كيانهم وتقوية موقفهم بعد أن خسروا المعركة السياسيّة ويعانون الآن من ضعف شديد، أقول إنّ الوحدة مع هؤلاء لا قيمة لها. فأمثال هؤلاء يقولون: «من أجل الحفاظ على الوحدة عليكم باتّباعنا! فالوحدة هي الأصل، وبما أنّنا لا نتّبعكم، فإنّه يتعيّن عليكم أنتم اتّباعنا في سبيل حفظ الوحدة!». فأيّ قيمة لوحدة كهذه؟ بل يجب أن ننظر إلى ماهيّة الثمرة التي سنجنيها من هذه الوحدة. فهل نتيجتها أنّ الحقّ هو الذي سيسود ويقوى، أم الباطل؟ إذن فقيمة الوحدة والاتّحاد ــــ وهما اللذان يعنيان الانسجام على الصعيد العمليّ تتّخذ طابع الوسيلة؛ بمعنى أنّها تتبَع الهدف المترتّب على تلك الوحدة. فلو كانت النتيجة المترتّبة على هذه الوحدة مضرّة فضلاً عن كونها غير مجدية، فإنّ وحدة كهذه لن تكون غير ذات قيمة فحسب، بل ستكون لها قيمة سلبيّة أيضاً. ومن هنا فإنّ علينا أن ننظر مليّاً أيّ ثمرة ستُجنى من تركنا لأداء تكليفنا ومماشاتنا لسلوكيّات وتصرّفات الآخرين؟ فهل إنّ مصلحة تلك النتيجة هي أقوى، وأقرب إلى الحقّ، وأعزّ للمجتمع الإسلاميّ، أم إنّ الأمر ليس على هذه

الشاكلة فبهذه الوحدة سيتلاشى الحقّ تدريجيّاً، فلا يعود الناس يعرفونه، وتزول المُثُل، وتفسد المعتقدات؟ فإنْ أدّت الوحدة إلى تضعيف الحقّ فليس لها قيمة تذكر.

التعصّب وعدم مراعاة الأدب ممنوعان

الآن إذا تمّ التوصّل إلى نتيجة مفادها أنّ للوحدة مصلحة أقوى، فماذا نصنع؟ في هذه الحالة لابدّ من تغيير بعض سلوكيّاتنا. فما ينبغي الالتفات إليه هنا هو أنّ تصرّفاتنا الاجتماعيّة يجب أن تتّخذ منحى بحيث لا تثير باقي الفرق الإسلاميّة ضدّ التشيّع، ولا تجعلهم ينظرون إلى الشيعة نظرة سيئة، ولا تؤدّي إلى تنامي حقدهم على التشيّع وعدائهم له. فلا يجوز أن يؤدّي سلوكنا إلى تعريض أرواح بعض الشيعة للخطر. لا ينبغي أن نقوم بفعل أو نتفوّه بكلام من شأنه أن يؤجّج مشاعرهم، بل يتعيّن علينا أيضاً إذا لزم الأمرـــ أن نعمل وفقاً لفتاواهم في تصرّفاتنا الفقهيّة. يقول الإمام الخمينيّ (قدّس سرّه) استناداً لبعض الروايات: «**إنّ المشاركة في صلوات جماعة المخالفين لنا في المذهب والصلاة في صفوفهم الأُولى هي كالصلاة في المسجد الحرام خلف الإمام المعصوم (عليه السلام)**». وهو لم يتطرّق هنا إلى إعادة هذه الصلاة. وهذه هي التقيّة المداراتيّة التي كان الإمام الراحل يؤكّد عليها. وعلى الرغم من أنّ بعض الفقهاء لم يذكروا هذه التقيّة أو لم يعيروها كبير اهتمام، لكنّه (رحمة الله عليه) اهتمّ بهذه القضيّة اهتماماً بالغاً.

تعطيل بيان الحقيقة هو أيضاً ممنوع:

السؤال الآخر الذي يتبادر إلى الذهن في هذا المجال هو أنّه: هل المراد من التقيّة ومنع إثارة مشاعر الآخرين هو أن لا نخوض في بحث علميّ حول هذا الموضوع أيضاً؟

والجواب هو أنّ هذا الأمر غير مقبول لدى العقلاء! أجل، هو مقبول لدى الصهاينة. فقد سنّوا في بضع دول أوروبّية قانوناً يعتبر التشكيك في قضيّة محرقة اليهود (الهولوكوست) جرماً. فإن قال أحدهم إنّه لم يتمّ قتل اليهود جماعيّاً في ألمانيا النازيّة، أو حاول التشكيك في هذه القضيّة فإنّه سيتعرّض للمساءلة والعقوبة؛ ومن هذا المنطلق فإنّه إذا زعم أحد أنّ البحث في مسألة حقّانية الشيعة هو جُرم، فتلك نزعة صهيونيّة ليس غير. فالبحث العلميّ حول أيّ مذهب أو قوميّة ليس ممنوعاً، لأنّ البحث هو فعل العقلاء. فالعاقل هو الذي يسعى إلى معرفة الحقّ والباطل كي يقبل بالحقّ ويرفض الباطل.

وبناءً على ما مرّ فنحن نقول: إنّنا على استعداد للبحث والتحقيق في المذاهب السنّية المختلفة، ومتّى ما ثبت أنّ أحد مذاهب أهل السنّة هو حقّ فإنّني شخصيّاً أُعلن في حضوركم وأمام كلّ من يسمعني لاحقاً وأعدكم بأنّني سوف أُغيّر مذهبي وأصير سنّياً. فنحن نتّبع الحقّ؛ فايّ أمر توصّلنا إلى أنّه حقّ فسنحترمه ونقدّسه، ونحن نتوقّع من الآخرين أن يتعاملوا بالمثل. فهلمّوا إلى البحث والتحقيق، فإن وُجدت في مذهبنا أُمور صحيحة مدعومة بأدلّة متقنة فاقبلوا بها؛ حيث إنّه: «**وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**»5؛ كما أنّه إذا وجد في مذهبكم ما هو صحيح فسنقبل به من جانبنا. فهذا أمر معقول وهو سيجابَه باستحسان العقلاء أينما طُرح. فمثلما أنّ مكتباتنا تزخر بكتبكم، فلتفسحوا أنتم المجال لانتشار كتب الشيعة في البلدان السنّية، لاسيّما في العربيّة السعوديّة، كي يطالعها طلاب الحقّ. فما لم يتمّ إثبات واحد من هذين المذهبين فلنحاول الجلوس معاً على طاولة البحث مع مراعاة الأدب وفي بيئة

ملؤها الهدوء والوئام، فهذا نوع من التكتيك. فالكلّ يعلم أنّه لن يقبل أحد برأي غيره من خلال الكلام الفظّ وتبادل الشتائم والكلام البذيء.

تأسيساً على هذا، فإنّ في أعناقنا واجبين؛ الواجب الأوّل هو واجب علميّ، فلابدّ لنا من إثبات أُسس التشيّع في جوّ علميّ وبحثيّ؛ وذلك لاعتقادنا بأنّ الإسلام الحقيقيّ يمثّله التشيّع، وأنّ ما قبِل به أهل البيت (عليهم السلام) وطبّقوه عمليّاً هو عين ما قاله وفعله نبيّ الإسلام (صلّى الله عليه وآله). ونحن نودّ أن ينتفع الآخرون من مائدة الكرم الإلهيّ تلك لئلاّ يُحرَموه فيضلّوا. فلولا التضحيات التي قدّمها علماء الشيعة على مرّ القرون الماضية لم تكن معارف أهل البيت (عليهم السلام) لتصل إلى أيدينا. فلو أنّنا دوّنا تاريخ تلك المساعي لأصبحت موسوعة ضخمة. فقد قاموا بجمع تلك المعارف من الكتب المخطوطة التي عثروا عليها في مكتبات مختلفة حول العالم وحفظوها وقدّموها لنا جاهزة. لقد رُويت في هذا الباب قصص عجيبة. منذ بضع سنوات كانت لي رحلة إلى الهند وقد طرق سمعي هناك قصّة تثير العجب، مفادها أنّ أحد علماء الشيعة كان منهمكاً في تصنيف كتاب، وفي خضمّ بحثه ومن أجل إثبات حقّانية التشيّع وإبطال بعض آراء المخالفين احتاج إلى كتاب نادر لم تكن توجد منه إلاّ نسخة واحدة كانت في مكتبة عالم سنّي. فطلب منه بأدب أن يعيره ذلك الكتاب فلم يقبل. فترك العالم الشيعيّ مدينته قاصداً بلدة العالم السنّي ودخلها على هيئة عامل. ولّما كان للعالم السنّي منزلة مرموقة بين أهل مدينته وبطانة ضخمة، جاء الشيعيّ قائلاً لهم بتواضع: أنا غريب وليس لي مورد أتكسّب منه قوت يومي، فأذنوا لي بالخدمة عندكم؛ أكنس الدار، وأغسل الأواني، فأحصل على لقمة أسدّ بها رمقي. فترحّموا عليه وقبلوه خادماً في الدار. فخدم في الدار مدّة أحسن ما تكون

الخدمة حتّى أحبّه صاحب الدار كثيراً. وبعد مدّة من الزمن طلب من صاحب الدار أن يأذن له باستعمال المكتبة، فأذن له الأخير لشدّة ما تعلّق قلبه به. فأخذ يذهب كلّ يوم في جوف الليل ليستنسخ جزءاً من الكتاب على ضوء شمعة حتّى انتهى من استنساخه بعد أشهر. فذهب إلى صاحب الدار وطلب منه السماح بالسفر إلى وطنه بحجّة الاشتياق إلى الأهل والأحبّة. وفي نهاية المطاف تمكّن من وداعهم بأيّ ثمن وترك تلك البلدة بصحبة الكتاب. وبعد وصوله إلى بلدته كتب رسالة إلى صاحب المكتبة شرح فيها قصّته وطلب منه أن يُبريء على ذلك. وعلى الرغم ممّا انتاب صاحب المكتبة من غضب شديد لكنّه من فرط تعجّبه من علوّ همّة الرجل فقد كتب إليه: إنّك لم تحسن التصرّف في فعل ذلك من دون إذن منّي؛ لكنّني عفوت عنك لما لك من همّة عالية.

وهذا أُنموذج بسيط على ما أنجزه علماء الشيعة على مرّ العصور في مجال العمل الثقافيّ كي ننعم أنا وأنتم اليوم بمعرفة السيّدة الزهراء (سلام الله عليها). فلولا تلك الجهود لتخيّلنا أنّ نزاعاً كان قد نشب في صدر الإسلام بين بضعة أشخاص ولا أثر له في الوقت الحاضر. ولولا تلك التضحيات لما كنّا نحن اليوم قد سمعنا باسم الإمام الحسين (عليه السلام)؛ لولا ذلك لطُمس الحقّ ولأصبح الهدف الأساسيّ من الدين في طيّ النسيان. لهذا فإنّه من غير المبرَّر بتاتاً أن يُترك العمل العلميّ والبحثيّ ويعطّل. أمّا الواجب الثاني فهو التحلّي بالسلوك الرصين، لأنّ الفظاظة، وسوء الأدب، وعدم احترام الطرف المقابل ليست من الصواب في شيء. فهذه التصرّفات من شأنها أن تبعّد الهدف الذي نصبوا إليه أو أن تنقضه. فهذه هي سبيل الشيطان يبيّنها للإنسان فيعتقد الأخير أنّ تصرفاً كهذا هو من منطلق الشجاعة. فهل في الوقت الذي توفّر

فيه للشيعة شيء من السلطة وكان الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) يعقد دروساً ضخمة حتّى أنّ علماء السنّة كانوا يحضرون دروسه بوفرة، هل يا ترى كان يتعامل معهم بفظاظة وبعدم احترام؟! كيف كان هؤلاء يجدون في أنفسهم الاستعداد لحضور درسه (عليه السلام)؟ علينا نحن أن نتعلّم تلك الأساليب. فعندما تكون هناك حاجة للتقيّة الخوفيّة، يجب أن نعتمدها وعندما تستدعي الضرورة العمل بالتقيّة المداراتيّة، فإنّ علينا العمل وفقاً لها؛ لكنّه ليس لنا، في أيّ حال من الأحوال، أن نغلق باب البحث والتحقيق وينبغي أن نعلّم الآخرين هذه الثقافة. كما أنّ علينا أن نحترم كتبهم أيضاً. لاحظوا تفسير الميزان؛ فكما أنّه ينقل في بحوثه الروائيّة عن الكافي تراه يكتب: في الدرّ المنثور كذا وكذا... ولا يقيم أيّ فرق في النقل وفي الاحترام بين المنقول عنهم.

فالعديد من المباحث التي نُفيد منها في إثبات مذهبنا وعقائدنا الفقهيّة ومعتقداتنا الكلاميّة في مقابل المخالفين لنا إنّما نستقيها من مصادرهم. هذه المصادر أكثر ما تفيد في إقناع الطرف المقابل؛ ذلك أنّ مصادرنا لا تتمتّع عندهم باعتبار يذكر؛ ومن هنا فقد حرص المرحوم صاحب «عبقات الأنوار» ومن بعده صاحب «الغدير» علي أن يجمعا المباحث الحقّة من كتب أهل السنّة كي لا تبقى في أيديهم حجّة. علينا نحن أيضاً أن نتعلّم هذه الطريقة ونكرّرها ولا نفعل ما يثير مشاعرهم على نحو يشكّل مانعاً من معرفتهم للحقّ. إنّ من واجبنا أن نحفظ معارف أهل البيت (عليهم السلام) من أجل الأجيال القادمة وكلّ البشر وأن ننشرها ما وسعنا ذلك كي تتعرّف البشريّة على تلك الحقائق. ينبغي لنا أن نزيل العقبات من هذا الطريق وأن لا نشكّل نحن مانعاً في هذا السبيل. فلا ينبغي ان يصدر منّا ما يفقدهم أصل الرغبة في قراءة

كتبنا أو الإصغاء إلى كلامنا. فعمل كهذا لا يمتّ إلى العقل بصلة، كما أنّ تعطيل البحث العلميّ ليس هو عملاً عقلائيّاً على الإطلاق.

سنتعرّض، بمشيئة الله تعالى، ابتداءً من المحاضرة القادمة إلى البحث حول أفضل مصادر الشيعة وأكثرها مدعاةً للفخر والاعتزاز ألا وهي خطبة السيّدة فاطمة الزهراء (سلام الله عليها)، وسنحاول جهدنا الإفادة من مضامين تلك الخطبة العظيمة التي تأتي من حيث الأهمّية بعد الوحي القرآنيّ، والتي تُعدّ من حيث الفصاحة والبلاغة، وإتقان المباحث، وأُسلوب الاستدلال، والجدال، والمناظرة مجموعة فريدة لعصارة عقائد مذهب التشيّع.

وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين

---

1. سورة النحل، الآية 106.
2. سورة البقرة، الآية 173.
3. سورة آل عمران، الآية 28.
4. بحار الأنوار، ج2، ص74.
5. سورة سبأ، الآية 24.

الجلسة الرابعة: فدك، ذريعة لبيان الحقائق

بسم الله الرحمـــٰن الرحيم

هذا الذي بين أيديكم هو عصارة لمحاضرة سماحة آية الله مصباح اليزديّ (دامت بركاته) ألقاها في مكتب سماحة وليّ أمر المسلمين بتاريخ 16 آب 2010م الموافق لليلة السادسة من شهر رمضان المبارك من العام 1431هـ، نقدّمها من أجل أن تزيد توجيهات سماحته من بصيرتنا وتكون نبراساً ينير لنا درب هدايتنا وسعادتنا.

فدك؛ ذريعة لبيان الحقائق

قصّة فدك:

بتوفيق من الله تعالى نستهلّ البحث حول الخطبة المعروفة للسيّدة الزهراء (سلام الله عليها)؛ وبمناسبة تسمية هذه الخطبة بالخطبة الفدكيّة فإنّه من المناسب أن نقدّم بادئ ذي بدء شرحاً موجزاً عن قصّة «فدك»، إذ أنّ أغلب شبابنا ليس لديهم الاطّلاع الكافي على هذه القضيّة. فدك هي اسم بلدة تقع إلى الشمال من المدينة المنوّرة قرب حصون خيبر وتفصلها عن المدينة حوالي مائة كيلومتر. سكّان هذه البلدة وتلك الحصون كانوا طوائف من اليهود. وفيما يتعلّق بنزوح اليهود إلى أرض الحجاز وتوطّنهم في المدينة فهذا يعود إلى قرون قبل ظهور الإسلام. لقد سمع علماء اليهود من أنبيائهم (سلام الله عليهم أجمعين) وقرأوا في كتبهم أنّه سيُبعث في آخر الزمان نبيّ يصدّق مَن سبقه من الأنبياء، وسينتشر دينه في العالم بأسره. فهاجر اليهود إلى أرض الحجاز على أمل إدراك نبيّ آخر الزمان والإيمان به، وتوطّنوا في أطراف المدينة؛ إذ كانوا يعلمون أنّ عاصمة ذلك النبيّ الموعود ستكون المدينة. كان اليهود

في ضواحي المدينة يشكّلون ثلاث طوائف (وهم بنو قريظة، وبنو قينقاع، وبنو النضير) وكانوا يمتازون بخصوصيّات أوّلها أنّهم كانوا حالهم حال غيرهم من اليهود ــ شديدي الشغف بالمال ويتمتّعون بعقليّة اقتصاديّة. وثانيها التفكر للمستقبل البعيد والتأمل في العواقب. فعندما جاءوا المدينة سعوا إلى تشخيص الأراضي التي تتمتّع بالخصوبة والأماكن الاستراتيجيّة وبناء القلاع الحصينة. أمّا ميزتهم الثالثة فهي أنّهم كانوا أهل علم ومعرفة ويمتازون بحضارة تفوق حضارة عرب الجزيرة. وقد نال اليهود بما يمتلكونه من خصوصيّات مكانة مرموقة بين العرب.

وبعد هجرة النبيّ الأكرم (صلّى الله عليه وآله) إلى المدينة ونجاحه عمليّاً في تأسيس الدولة الإسلاميّة، وقّع النبيّ الأعظم (صلّى الله عليه وآله) مع مختلف طوائف اليهود معاهدة تقضي بعدم تعرّض اليهود للمسلمين أو مدّ يد العون لأعدائهم؛ لكنّ أيّاً من تلك الطوائف لم تف بعهدها وراح اليهود يبنون علاقات سرّية مع مشركي مكّة من جانب، وفيما بعد مع منافقي المدينة من جانب آخر بل وتآمروا في التخطيط لشنّ حرب على نبيّ الإسلام (صلّى الله عليه وآله). وقد عاهدهم المنافقون بأنّكم إن اجتحتم المدينة فإنّنا سنكون ظهيراً لكم لأنّ عددنا يقترب من الألفين. يشير الباري تعالى إلى هدف المنافقين هذا في سورة «المنافقون» في قوله: «**يَقُولُونَ لَئِنْ رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ**»1؛ فهم يزعمون بأنّهم أعزّاء، والمسلمون ليسوا إلاّ مشرّدين من مكّة أذلاّء وإنّنا سوف نطردهم من المدينة. وحينما وصل خبرهم هذا إلى مسامع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) تجهّز لقتالهم فنشبت في نهاية المطاف حروب كانت إحداها واقعة خيبر. في هذه الواقعة تمّ فتح حصون خيبر، التي كانت من أهمّ حصون اليهود الاستراتيجيّة: «**وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ**»2، على يد

أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) المقتدرة. فبلغ خبر فتح خيبر أهالي فدك، ومن أجل حقن دمائهم ووقاية أنفسهم ممّا نزل بأهل خيبر من البلاء اقترحوا على النبيّ (صلّى الله عليه وآله) الصلح، وعرض كبراء فدك على النبيّ إعطاءه أراضيهم وأموالهم في مقابل تركهم أحياء. فقبِل النبيّ (صلّى الله عليه وآله) بعرضهم وقام كلّ واحد منهم فأخذ لنفسه من أمواله بمقدار بعير وسلّم الباقي للنبيّ (صلّى الله عليه وآله). يشير القرآن الكريم في أوّل سورة الحشر إلى تلك القصّة بالقول: «**وَمَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلاَ رِكَابٍ وَلَـٰكِنَّ اللهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**»3؛ ومضمون هذه الآية هو أنّ هذه الأرض التي استوليتَ عليها من دون استخدام قوّة عسكريّة والتي وهبها أهاليها بأنفسهم للنبي (صلّى الله عليه وآله)، تختلف عن أموال الغنائم التي يحصل عليها المسلمون في الحرب. ففي العادة عندما ينتصر جند الإسلام في الحرب على الكفّار ويحصلون على الغنائم فإنّ خمس تلك الغنائم يكون من حصّة النبيّ (صلّى الله عليه وآله): «**وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَأَنَّ للهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ**»4. أمّا الأموال التي تقدَّم خصيصاً للنبيّ (صلّى الله عليه وآله) فهي كلّها تعود له. هناك في الفقه بحث حول أقسام أموال غنائم الحرب. فواحد من تلك الأقسام هو ذلك الذي تشير إليه الآية السادسة من سورة الحشر حيث تقول: «ما أعطا الله من أموالهم لرسوله ممّا لم تستخدموا في الحصول عليه لا خيلاً ولا جمالاً». فليس سوى النبيّ (صلّى الله عليه وآله) من له صلاحيّة التصرّف في تلك الأموال وما من أحد غيره على الإطلاق له حقّ فيها.

فأهالي فدك هم الذين سلّموا أراضيهم للنبيّ كي يحقنوا دماءهم. وطبقاً لما تنقله بعض الروايات فإنّه عندما أصبحت تلك الأراضي ملكاً للنبيّ (صلّى الله عليه وآله) نزلت هذه الآية: «**وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ**»5؛ فصحيح أنّك حرّ في التصرّف في تلك الأموال كيف تشاء؛ لكنّه «لذوي القربى» حقّ فيها. أي لقد صدر الأمر في الحقيقة بأنّه: صحيح أنّ لك كامل الحرّية في التصرّف في تلك الأموال، لكن عليك أن تعطي هذا القسم من الأراضي لذوي القربى. وقد جاء في الخبر **أنّ المراد من «ذا القربى» هو فاطمة الزهراء (سلام الله عليها)**6. وتنفيذاً للأمر الوارد في الآية الشريفة فقد قام النبيّ (صلّى الله عليه وآله) باعطاء فدك للزهراء (عليها السلام) وعيّن في حياته متولّياً عليها ليدير شؤونها. فكان النبيّ (صلّى الله عليه وآله) يأخذ من ريعها ما يعادل قوته وقوت الزهراء لسنة ثمّ يوزّع الباقي بين الفقراء بعنوان هدية فاطمة الزهراء (سلام الله عليها). وما دام النبيّ (صلّى الله عليه وآله) على قيد الحياة كانت الأُمور تجري على هذا المنوال.

لكن بعدما رحل رسول الله (صلّى الله عليه وآله) الي ربّه وفي غضون بضعة أيّام لا غير جرت على الأمّة الإسلاميّة من التحوّلات العظيمة ما يصعب تصديقه للغاية. كلّ تلك القصص التي نسمعها كلّ يوم وكلّ ليلة فتُدمَى لها قلوبنا كانت قد جرت أحداثها في تلك الأيّام القلائل. فبعد عشرة أيّام من وفاة النبيّ (صلّى الله عليه وآله) أخرج خليفة ذلك الزمان وكيلَ الزهراء (سلام الله عليها) من فدك وعيّن غيره مكانه، فصادر بذلك ريع تلك الأراضي الذي قيل إنّه كان يصل حتّى إلى 120 ألف دينار، محتجّاً بأنّ تلك الأموال كانت توزَّع في حياة النبيّ (صلّى الله عليه وآله) على الفقراء؛ ونحن أيضاً نأخذها ونوزّعها على الفقراء، والحال أنّ فاطمة الزهراء

(سلام الله عليها) كانت تنفق على الفقراء من ملكها الخاصّ و لم يكن المال متعلّقاً بالدولة. و لم تمض على تلك الأحداث غير شهرين وبضعة أيّام حتّى رحلت الزهراء (سلام الله عليها) عن هذه الدنيا.

في هذه الفترة بالتحديد كان للزهراء (عليها السلام) بضع خطب وحوارات كانت إحداها هذه الخطبة المشهورة التي تُعدّ من مفاخر الإسلام ومن الوثائق التي يظلّ صداها يدوّي إلى يوم القيامة معلنة عن حقّانية الإسلام، والتشيّع، وأهل بيت الرسول (صلّى الله عليه وآله). ومن حُسن الحظّ أنّ هذه الخطبة بقيت، بهمم الشيعة، محفوظة إلى يوم الناس هذا بل وثُبّتت أيضاً حتّى في كتب المخالفين.

ما نصنع بفدك؟!

يتصوّر البعض أنّ الذي آلم الزهراء (عليها السلام) إلى أبعد الحدود كان غصبهم لأموالها! بل ويُذكَر في بعض المراثي أحياناً أنّها (سلام الله عليها) قالت: «**لقد سلبتم قوت عيالي!**». فإن قلنا إنّ هذا الكلام هو من أعظم ألوان الظلم الذي مارسناه نحن الشيعة في حقّ أهل البيت (عليهم السلام) لم نكن قد بالغنا. فكيف يمكن لِمَن لا تساوي كنوز الدنيا كلّها في أعينهم أكثر من كومة رماد أن يغتمّوا لفقد مال دنيويّ؟! فهذا أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) يقول في نهج البلاغة: «**وما أصنع بفدك وغير فدك**»7؟! أيكون حقيقةً ــ كلّ ذلك البكاء، والأنين، والتظلّم من أجل مال الدنيا؟! إنّ تصوّراً كهذا لا يعدوا كونه تصوّراً ساذجاً في غير محلّه، وليس هو من العقل في شيء. فحقيقة الأمر أنّ هذه المسألة كانت ذريعة

اتّخذها سيّدتنا الزهراء (سلام الله عليها) لتعلن عن حقائق أرادت لها أن تظلّ على درجة كبيرة من الوضوح والجلاء إلى يوم القيامة فلا يتمكّن أحد من إخفائها والتستّر عليها. لم يكن من أحد، بما فيهم شخص أمير المؤمنين (عليه السلام)، باستطاعته أن يبيّن تلك الحقائق بمثل تلك الصراحة غير السيّدة الزهراء (سلام الله عليها)! فأمير المؤمنين (عليه السلام) كان هو نفسه طرفاً في النزاع مع الخلفاء على قضيّة خلافة رسول الله (صلّى الله عليه وآله)؛ ومن أجل ذلك فإنّه ما كان يتفوّه بكلمة حتّى يقولوا له: «إنّك تريد الكلام لمصلحتك!». لكنّ فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) كانت قد أعلنت عن تلك الحقائق بأُسلوب لا يجرؤ أحد اليوم على التكلّم عن هؤلاء الأشخاص بمثله. في تلك الظروف كان هذا العمل الوحيد الذي تستطيع الزهراء (سلام الله عليها) القيام به وبالإفادة من فرصة الأيّام القليلة تلك كانت (عليها السلام) قد أسدت إلى الإسلام خدمة تعادل خدمة أعوام وقرون متمادية.

ذريعة لبيان الحقائق:

فيما يخصّ أُسلوب الحوار الذي جرى بين السيّدة الزهراء (عليها السلام) من جانب وخليفة ذلك الزمن والمتصدّين لقضيّة الخلافة من جانب آخر هناك نقاط تقع أحياناً محطّ غفلة أو قلّة إنصاف، كما ويطرحها البعض أيضاً بعنوان الشبهة، وهي أنّ هذه المزرعة في الواقع كانت قد وُهبت من قبل النبيّ (صلّى الله عليه وآله) خصّيصاً للزهراء (سلام الله عليها)؛ لكنّ مسألة الإرث قد اُقحمت في القضيّة بعد ذلك حيث

طالبته الزهراء (عليها السلام) بإرث أبيها، فبادرها بالجواب قائلاً: إنّ النبيّ قال: «**نحن معاشر الأنبياء لا نورّث!**».

هذا الحديث الذي نقله الخليفة لفاطمة (سلام الله عليها) هو من الموارد التي يؤخذ فيها بعض الكلام ويُسكَت عن البعض الآخر الذي يتضمّن القرينة، ممّا يؤدّي إلى الالتباس في فهم المعنى. نحن أيضاً لدينا روايات تحمل هذا المضمون نقلها أئمّة أهل البيت (صلوات الله عليهم أجمعين) عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أنّه قال: «**نحن معاشر الأنبياء لا نورّث درهماً ولا ديناراً**» أو أنّ النبيّ (صلّى الله عليه وآله) قال بنفسه في مقام الحثّ على طلب العلم: «**إنّ الأنبياء لم يورّثوا ديناراً ولا درهماً ولكن ورّثوا العلم، فمَن أخذ منه أخذ بحظّ وافر**»8؛ والغاية منه هو أنّ عليكم أن تقدروا العلم حقّ قدره فهو ميراث الأنبياء. لكن هناك فرقاً بين: ما الذي تركه الأنبياء للناس من ميراث، وبين: ما الذي تركه الأنبياء من أموالهم كإرث لوارثيهم. فأحياناً ننظر إلى الأنبياء «بما هم أنبياء»، أو كما يُصطلح عليهـــ من زاوية شخصيّاتهم الحقوقيّة، ففي هذه الحالة يتمّ طرح الأنبياء في مقابل الأُمّة. هاهنا يمكننا التساؤل: ما الذي تركه النبيّ للأُمّة من إرث؟ حيث يكون الجواب: إنّ النبيّ لا يورّث أُمّته مالاً؛ بل يورّثها العلم، والمعرفة، والدين. لكنّه عندما يُطرح شخص النبيّ بما هو محمّد بن عبد الله (صلّى الله عليه وآله)، فحينئذ يكون السؤال: ما الذي تركه لامرأته وأولاده من الإرث؟ فهاتان مسألتان منفصلتان. فالنبيّ بما هو نبيّ لا يترك لأُمّته مالاً، وهذا صحيح؛ لكنّ ذلك لا يتنافى مع كونه فرداً من أفراد الأُمّة ومتّبعاً لأحكام الإسلام. فنبيّ الإسلام، من حيث إنّ عليه العمل بأحكام الإسلام وله حقوق أيضاً طبقاً للضوابط الإسلاميّة، فهو كسائر المسلمين. فيجب عليه حاله حال باقي المسلمينـــ أن يصلّي، ويصوم، ويراعي حلال الله وحرامه، وإنّ قاعدة «**أَوْفُوا**

بِالعُقُودِ»9 تشمله أيضاً، وعليه أن يتّصف بالوفاء في المعاملة، و... الخ. وهناك في القرآن الكريم آيات صريحة حول توريث الأنبياء (عليهم السلام) لأبنائهم؛ كما في قوله: «**وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ**»10، وكما في دعاء النبيّ زكريّا (عليه السلام) لله أن يرزقه ولداً من أجل أن يرثه: «**يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ**»11. ولا يُراد من هذه الآيات أنّهم تركوا ميراثاً لأنّهم رسل وأنبياء؛ بل المقصود منها أنّه بما أنّهم مسلمون ومنصاعون لأحكام الله تعالى فإنّهم يرثون موَرِّثيهم، ويورّثون وارثيهم. ولا أُريد من هذا الكلام إلاّ التنويه إلى هذه النقطة وهي أنّ تقطيع الكلام يبعث أحياناً على تغيير معناه الأمر الذي يؤدّي إلى عدم فهم القصد الأساسيّ منه.

تدبيرٌ منقطع النظير:

قبل الولوج في البحث لابدّ من الالتفات إلى هذه النقاط وهي أنّ نزاع السيّدة فاطمة (سلام الله عليها) مع المدّعين لخلافة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لم يكن نزاعاً على المال والإرث. فلم يَعدُ الأمر ذريعة لقول بعض الحقائق وتثبيتها في صفحات التاريخ، كما أنّ سلوك السيّدة الزهراء (عليها السلام) بعد تلك الأحداث كان بكيفيّة من شأنها أن تؤمّن هذا الهدف المرجوّ. وعليّ أن أقول هنا أيضاً إنّ وصيّة فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) القاضية بعدم رضاها بحضور هؤلاء في جنازتها الشريفة لم تكن من دافع الحقد والضغينة، والعياذ بالله؛ بل لقد كانت هذه الخطوة من أعظم السياسات التي خطّت بخطّ البطلان على مزاعمهم. فلقد أرادت (عليها السلام) أن تثبّت منتهى حنقها وغضبها عليهم كي يكونوا المصداق الأجلى لحديث النبيّ الأعظم (صلّى الله عليه وآله): «**إنّ الله عزّ وجلّ يغضب بغضب فاطمة**»12.

فالغاية من دفن جسدها الشريف سرّاً وعدم الإذن للأغيار بالمشاركة في تشييع جنازتها كانت من أجل أن تُثبّت هذه الحقيقة في التاريخ وليعلم الجميع أنّها لم ترضَ عن هؤلاء قطّ. هذه المسألة لم تكن على خلفيّة الحقد والضغينة؛ فأصحاب هذا البيت الطاهر كانوا على جانب من الرأفة والرحمة بحيث إنّهم لو شعروا ببصيص أمل، مهما كان ضئيلاً، بإمكانيّة هداية ألدّ وأعتى أعدائهم، ما كانوا ليألوا جهداً في هدايتهم؛ لكن لو لم تفعل السيّدة الزهراء (سلام الله عليها) ما فعلت لما انجلت الغبرة، ولما انكشفت الحقيقة، ولما ذقنا أنا وأنتم اليوم طعم الإسلام والتشيّع. فبفضل تدبير السيّدة فاطمة (سلام الله عليها) هذا عرف الملايين من البشر حقيقة الإسلام. إنّني لأقطع وأجزم على أنّه لو كان ثمّة بصيص أمل في هداية هؤلاء وتوبتهم عبر المشاركة في جنازة الزهراء (عليها السلام) لأصرّت (سلام الله عليها) إصراراً بليغاً على مشاركتهم؛ لكنّها كانت على علم بأنّ الذين خالفوا أمير المؤمنين (عليه السلام) علناً لن يكونوا على استعداد لقبول الحقّ مهما كان الثمن. ولهذا فقد أسّست (عليها السلام) لهذا التدبير بُغية أن تَفهَم الأجيال القادمة بأنّه قد تولّد في الأُمّة الإسلاميّة تيّار راح يسير على عكس المسيرة الحقيقيّة للإسلام وخلافاً لمقاصد النبيّ الكريم (صلّى الله عليه وآله) وتوجيهاته، كي يتمكّن البشر من معرفة الحقّ إذا رغبوا في اتّباعه.

اللهمّ لا تحرمنا شفاعة الزهراء (عليها السلام).

---

1. سورة «المنافقون»، الآية 8 .
2. سورة الحشر، الآية 2.

3. سورة الحشر، الآية 6.
4. سورة الأنفال، الآية 41.
5. سورة الإسراء، الآية 26.
6. بحار الأنوار، ج48، ص157.
7. نهج البلاغة، الرسالة 45.
8. بحار الأنوار، ج1، ص164.
9. سورة المائدة، الآية 1.
10. سورة النمل، الآية 16.
11. سورة مريم، الآية 6.
12. عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، ج2، ص26.

الجلسة الخامسة: النعمة الحقيقية

بسم الله الرحمـٰن الرحيم

هذا الذي بين أيديكم هو عصارة لمحاضرة سماحة آية الله مصباح اليزديّ (دامت بركاته) ألقاها في مكتب سماحة وليّ أمر المسلمين بتاريخ 17 آب 2010م الموافق لليلة السابعة من شهر رمضان المبارك من العام 1431هـ، نقدّمها من أجل أن تزيد توجيهات سماحته من بصيرتنا وتكون نبراساً ينير لنا درب هدايتنا وسعادتنا.

الاختلاف بين الحمد، والشكر، والثناء:

سوف ننهج في شرح خطبة السيّدة الزهراء (سلام الله عليها) نهجاً بحيث لا نسهب في البحث فيها فيأخذ منّا زمناً طويلاً، ولا نأخذ جانب الإجمال فلا نعطي الموضوع حقّه. نسأل الله تعالى أن يوفّقنا لأن نوضّح هذه الخطبة الشريفة بأُسلوب وسط ومعتدل.

طبقاً لما تواترت عليه النقول فإنّ الخطبة المباركة للسيّدة الزهراء (سلام الله عليها) قد استُهلّت بهذه الكلمات: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَنْعَمَ، وَلَهُ الشُّكْرُ عَلَى مَا أَلْهَمَ، وَالثَّنَاءُ بِمَا قَدَّمَ**»[1]؛ حيث ابتدأت الجملة الأُولى بالحمد، والثانية بالشكر، والثالثة بالثناء. والفارق الذي يمكن ملاحظته إجمالاً بين هذه المصطلحات الثلاثة هو أنّ مفهوم الثناء أعمّ من مفهومي التعبيرين الآخرَين؛ حيث يستخدم الثناء في العربيّة كلّما أُريد المدح والإطراء، سواء أكان الممدوح عاقلاً أم غير عاقل، حيّاً أم جماداً،

وسواء أكان على فعل اختياريّ أم غير اختياريّ، إذ يمكن استعمال تعبير الثناء في جميع تلك الموارد؛ أمّا الحمد فلا يُستعمل إلاّ عندما يكون الفعل المأتيّ به خيراً وقد صدر من فاعل مختار وذي شعور، سواء أعاد ذلك الفعل بالفائدة على الحامد أم لم يعد. وأمّا الشكر فهو أخصّ من الحمد؛ إذ هو الثناء على من جاء بفعل خير وقد عاد الأخير بالنفع على الشاكر.

الملاحظة الأُخرى فيما يتعلّق بالسبب في ترتيب هذه الألفاظ الثلاثة: الحمد، والشكر والثناء وأنّه لماذا جاء الحمد أوّلاً، ثمّ تلاه الشكر، فتبعه الثناء؟ نقول: لعلّ السبب في ذلك يعود إلى أنّه مادام المقام هو مقام حمد الله سبحانه وتعالى، وأنّ الله هو عين الحياة والعلم، وأنّ له أعلى مراتب الحياة والقدرة والعلم والاختيار، فإنّ على الإنسان بالطبع أن يحمده على أفعاله الحسنة والاختياريّة، إذ ليس لله فعل غير اختياريّ؛ وإنّ كلّ ما يصدر منه عزّ وجلّ من آثار الخير فهو باختياره، ولا يصدر منه عمل جبريّ على الإطلاق. إذن فلفظة الحمد تناسب مقام الثناء على الله جلّ وعلا. كما أنّ الله تعالى أيضاً قد استهلّ كلامه في القرآن الكريم بالحمد.

وفي الجملة الثانية يتوجّه الثناء إلى الله سبحانه على ما خصّ به المُثني من العطاء، وإنّ ما يليق بالمقام هنا هو لفظة الشكر. ثمّ بعد أن حمدت (عليها السلام) اللهَ ثمّ شكرته على ما خصّها به من آلائه، أرادت تعميم هذا الحمد بما يشبه ذكر العامّ بعد الخاصّ؛ فاستعملت تعبير الثناء.

الحياة هي أعظم النعم الإلهيّة:

الملاحظة الثالثة التي تسترعي الاهتمام في هذه العبارة هي قولها (سلام الله عليها): **«الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَنْعَمَ»**.

إنّ كلّ ما يفعل الله عزّ وجلّ من الخير فهو نعمة لعباده؛ ومن هذا المنطلق فإنّه عندما يحمد المرء ربّه، يكون الدافع من وراء حمده هو التفاته إلى نعمه جلّ شأنه. لكنّ السؤال الذي يتبادر إلى الذهن هنا: ما هو المراد من النعمة؟

الإنعام هو إعطاء النعمة، والأصل في النعمة هو «نَعَمَ» وهو من النعومة واللطافة. فلفظة النعومة تُستخدم لوصف القماش الليّن الملمس أو ورقة الزهرة اللطيفة الملمس. أمّا العلّة في تسمية النعمة بهذا الاسم فهي كونها مناسبة ومفيدة للمتنعّم وهو يعيش في دعة وطمأنينة بوجودها. فإن أصاب الإنسانَ شيء يضرّه فلا يُقال لهذا الشيء نعمة. وإذا أردنا أن نطبّق هذا المعنى اللغويّ على مصطلح أهل المعقول نقول: النعمة هي كلّ ما يؤدّي إلى كمال الشيء. فكما أنّ الكمال نفسه هو نعمة للموجود، فإنّ ما يوجب الكمال هو كذلك أيضاً؛ أمّا الشيء الذي يأتي بالضرر والنقص للموجود، أو الذي يؤدّي إلى زواله فهو لن يكون نعمة له.

وعبر تحليل عقليّ دقيق يمكننا القول بأنّه: عندما تكون كمالات الوجود مطلوبة بالنسبة لنا، فإنّ الوجود نفسه سيكون مطلوباً بطريق أَولى؛ ومن هذا المنطلق نلاحظ أنّ كلّ كائن حيّ فهو يحاول جهده المحافظة على حياته والبقاء على قيد الحياة؛ وحتّى الحشرات، فهي تُبدي حركة مهما أمكنها لعلّها تعيش للحظة إضافيّة. وهذه

الحالة نابعة من حقيقة أنّ الحياة هي أكثر ما يُطلب من الأُمور. وعليه فكما أنّ كمالات الوجود مطلوبة للإنسان وهي نعمة له، فإنّ أصل الوجود هو نعمة للإنسان أيضاً.

في مثل هذه الموارد التي تحتاج إلى تحليل عقليّ ولا يسع اللغة والتركيبات اللفظيّة والمفاهيم العرفيّة أن تعطي المبحث حقّه فإنّنا نستعمل اللفظ، مع بعض المسامحة والتصرّف، بكيفيّة تساعد ولو بنحو من الأنحاء على إيصال المعنى إلى الأذهان. فعندما نقول: إنّ الله يهبنا الوجود، فأىّ شيء «نحن» كي يهبنا الله الوجود؟! فنحن لم نكن شيئاً أصلاً قبل أن يمنحنا الله الوجود. وبتعبير آخر، عندما نقول: إنّ الله «يمنحنا» الوجود، فما هي هذه الـ«نا» كي يمنحها الله الوجود؟! فإنّ الـ«نا» و«الوجود» لا يمكن فصلهما إلاّ بالتحليل العقليّ، وإلاّ فإنّ «نحن» هي عين وجودنا. ولعلّ التفكيك بين الماهيّة والوجود ينبع من هذه النقطة. وأمثال هذه التعابير موجودة حتّى في القرآن الكريم. ففي سورة يٰس يقول الباري عزّ وجلّ: «**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**»2؛ فعندما يريد الله تعالى أن يُوجِد شيئاً، فإنّه يقول له: كن! فيتحقّق ذلك الشيء. فقبل أن يقول الله: كن، لم يكن هناك شيء أصلاً ليقول «له»: كن؛ فمَن هو المخاطَب إذن؟ أي: عندما يقول الباري عزّ وجلّ: «يقول له»، فلِمَن تعود هذه «الهاء» في «له»؟ وهذا هو عين التحليل الذي لا مفرّ من اللجوء إليه عندما يُراد إفهام حقيقة تعلّق كلّ الأُمور بإرادة الله عزّ وجلّ. فحينما يُراد القول: إنّ الله لا يقول لشيء: كن، إلاّ ويكون، فلا مناص من أن نفترض أنّه عبارةٌ عن ماهيّة وشيء. وهذه المصطلحات هي من أجل مساعدة أذهاننا على الفصل بين المفاهيم على نحو أفضل. فالتفكيك في المباحث

العقليّة بين الوجود والماهيّة وما شاكلهما هو من هذا القبيل أيضاً؛ ولذا نحن نقول: إنّ أحدهما هو اعتباريّ والآخر هو حقيقيّ.

فعندما تكون كمالات من قبيل العمر الأطول، والقدرة الأكبر، والعلم الأغزر، وما إلى ذلك هي نعمة، أفلا تكون حياتنا ذاتها نعمة؟! أجل، هي كذلك، بل هي أعظم النعم. فإنّ أعظم نعمة يعطيها الله تعالى لأيّ مخلوق هي نعمة الوجود والحياة. فإنّ عمليّة إيجادي من قبل الله عزّ وجلّ، وحقيقة أنّني أصبحت وجوداً، لَيتطلّب منّي من الشكر أكثر من أيّ شيء آخر؛ ذلك أنّ كلّ ما نملك هو فرع لهذا الوجود؛ إذ أنّ كلّ الأُمور التي نملكها هي مطلوبة من باب أنّها تكمّل الوجود. فإنّ هبة الحياة لنا من قبل الله لحظة بعد لحظة هي نفسها نعمة؛ فإنْ أمسك تبارك وتعالى لحظة واحدة، فلن يعود هناك شيء أبداً. فكلّ هذه الأُمور هي نِعم يفيض الله تعالى علينا بها باستمرار. فعندما نلتفت إلى حقيقة أنّ الله قد وضع تحت تصرّفنا كلّ تلك النعم (من نعمة الوجود، إلى الشعور، إلى السلامة، و... الخ)، فلابدّ حينئذ من أن نقول: «**الحمد لله على ما أنعم**».

لاحظتم في هذا البحث أنّنا قد استنتجنا معنى لغويّاً للنعمة انتزعناه من قياس شيء بشيء آخر ملائم له، ومن ثمّ قمنا بتعميمه عبر التحليل العقليّ حتّى شمل نفس الوجود.

وفي بعض الاستعمالات الأُخرى تُستعمل لفظة النعمة بشكل مختلف. ففي أحد الإطلاقات تقسّم الحوادث التي تجري في العالم ويكون لها ارتباط بنا إلى قسمين: نِعم وبلايا. فما يرضينا منها ابتداءً وفقاً لإدراكاتنا وما نستمتع به فهو يُعد نعمة، لكنّ ما

لا يكون كذلك كالأمراض، والشدائد، والإهانات، وغيرها فإنّنا لا نعدّه نعمة؛ بل بلاءً. لكنّنا إذا نظرنا إلى الأُمور نظرة توحيديّة، وهو ما يعلّمنا إيّاه القرآن الكريم، فسوف نتوصّل إلى نتيجة بالغة الدقّة مفادها أنّ معظم ما يفرح به الإنسان وما يعتبره نعمة إنّما يشكّل سبباً لامتحانه، لكنّه هو الذي يفشل ويسقط في هذا الامتحان؛ فالإنسان على سبيل المثالـ يفرح كثيراً بحصوله على الثروة؛ لكن هل يا ترى أنّ الثروة التي تقوده إلى البخل، أو تدفعه لترك الواجب من الحقوق تعدّ نعمة أيضاً؟! وهل تظلّ الثروة نعمة إذا التذّ المرء واستمتع بها حتّى وإن كانت من موجبات تعاسته في الدنيا والآخرة؟! ومن ناحية اُخرى فإنّ الإنسان يستاء من بعض الأُمور، كالمرض، والعوز، والشدّة، ...الخ؛ لكن إذا دفعه كلّ ذلك إلى الترقّي وقوّة الاستحكام في الدنيا من جانب، ونيله لعظيم الأجر والثواب في الآخرة من جانب آخر فهل ستكون تلك المصاعب التي يظهر عليها عنوان البلاياـ بلايا حقّاً، أم هي نِعم؟

يقول بعضهم: إنّ كلّ ما يستعمله الإنسان في الوصول إلى قرب الباري عزّ وجلّ فهو نعمة حقيقيّة، أمّا تلك الأُمور، التي قد تجلب له المتعة واللذّة، بل وقد يكون دائم الشكر لله على ان أعطاه إيّاها، لكنّها في النهاية ستكون سبباً في عذابه الاخرويّ، فإنّها لن تمثّل نعماً بالنسبة له.

النعمة الحقيقيّة:

يُطرح هاهنا بحثان هما أيضاً لا يتّسمان بطابع عرفيّ، بل كلاهما من سنخ البحث التحليليّ العقليّ الذي بإمكانه تقديم الحلول لهذه الاختلافات. هناك أُمور في هذه العالم تشكّل بذاتها أهدافاً لنا، بمعنى أنّنا نسعى وراءها لأنّنا نحبّها بذاتها. وفي المقابل هناك الكثير من الأشياء تكون مطلوبة ولعلّها تعدّ مصدراً للمتعة واللذّة أيضاً، غير أنّها لا تمثّل هدفنا الأساسيّ؛ بل إنّنا نستخدمها كوسيلة لبلوغ أمر أسمى وأرفع. فهدف المريض من تناول الدواء، مثلاً، هو نيل السلامة. فهذه الجهود والمساعي ليست مطلوبة بذاتها بالنسبة له، بل هي مطلوبة بالغير؛ إذ أنّ المطلوب الذاتيّ هو السلامة. فجميع البشر يجعلون من بعض الأُمور مطلوباتهم الذاتيّة حتّى تصبح أُصولاً بالنسبة لهم. فبالنسبة للكفّار فإنّ نفس هذه الملذّات الدنيويّة هي مطلوبة بالذات؛ فهم أساساً يعيشون ليلتذّوا وليس لهم مراد آخر! أمّا بالنسبة للمؤمن فإنّ لذّة الدنيا ليست هي المطلوبة بالذات؛ لأنّه يعلم أنّ هذه الدنيا بأسرها ليست هي إلاّ مقدّمة وممرّ سفر؛ وأنّ المقصد يكمن في مكان آخر. فإن عمل المؤمن بمقتضى إيمانه فإنّه لن ينظر إلى أيّ شيء دنيويّ بعنوان كونه مطلوباً بالذات؛ فهو يطلب كلّ شيء في سبيل تلك النتيجة الأبديّة. فمطلوب المؤمن هو السعادة الأبديّة، ولا يكون لكلّ هذه الأُمور العابرة بالنسبة له إلاّ طابع الوسيلة.

إذن فقد توصّلنا هنا إلى لونين من النعم: نعمة بالذات، ونعمة بالتَّبَع؛ يعني إنّ النعمة الحقيقيّة للمؤمن هي بلوغ ذلك الكمال النهائيّ، أمّا باقي النعم فهي بالنسبة له نِعم بالتبع أو بالعرَض. وهذا التحليل له شاهد قرآنيّ في سورة الحمد. فكلّنا نقرأ سورة

الحمد في اليوم والليلة عشر مرّات على أقلّ تقدير، ونقول فيها: «**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ**»3. فهل نطلب من الله في الصلاة أن يهدينا إلى سبيل أصحاب رؤوس الأموال الأمريكيّين؟! إنّ ممّا يدعوا إلى الأسف أنّ بعض الشخصيّات المرموقة يستدلّون بهذه الآية قائلين: أجل، إنّ جمع المال أمر حسن؛ فالثروة نعمة من الله، ونحن نقول في الصلاة: «**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ**»! أي: علّمنا كيف نجمع الثروة؛ الحلال طبعاً! والحال أنّ القرآن نفسه قد عرّف مَن هم «**الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ**» حيث قال في موضع آخر: «**وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ**»4؛ فالذين أنعم الله عليهم هم أربعة أصناف من الناس: الأنبياء، والصدّيقون، والشهداء، والصالحون. ونحن نقول في الصلاة: «**صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ**»؛ أي: اهدنا صراط هؤلاء الناس؛ وليس صراط الأثرياء، أو صراط أصحاب رؤوس الأموال الغربيّين، أو صراط الظَّلَمة؛ فصراط هؤلاء هو صراط العذاب والشقاء!

فالنعمة التي نسألها من الله تعالى في صلاتنا هي تلك النعمة النهائيّة والمطلوبة بالذات التي يطلبها المؤمن؛ أي سبيل اولئك الذين أوصلْتَهم إلى المقصد النهائيّ والذين يقسّمهم القرآن الكريم إلى أربعة أصناف. ثمّ يقول عزّ من قائل: هناك أشخاص يكونون في معيّة هؤلاء، وإنّ شرط هذه المعيّة هو طاعة الله ورسوله (صلّى الله عليه وآله). فهذا المقام خاصّ بتلك الأصناف الأربعة من البشر، وإذا اُلهمنا نحن التوفيق من الله عزّ وجلّ، وشمّرنا عن سواعدنا، وضاعفنا الهِمَم في مجال طاعة الله وطاعة رسوله (صلّى الله عليه وآله) نكون قد نلنا اللياقة لتلك المعيّة. إذن فالنعمة هي ما منّ

الله به على الأنبياء (عليهم السلام) وكلّ ما دون ذلك لا يُطلق عليه مصطلح النعمة إلاّ مجازاً. وانطلاقاً من هذه الرؤية فإنّ النعمة هي كلّ ما يبلغ بالإنسان إلى المحطّة النهائيّة، وفي المقابل فإنّ كلّ ما لا يوصل المرء إلى ذلك الهدف فهو عقيم ولا قيمة له، بل إنّه إذا شكّل مانعاً من الوصول إلى ذلك الكمال فهو نقمة حتّى وإن كان مدعاةً لمتعة الإنسان والتذاذه.

لقد عبّرت الأحاديث الشريفة عن الشيء الذي يوصِل الإنسان إلى الهدف النهائيّ بمصطلح «الولاية»؛ فقد جاء في الخبر أنّ المراد من «النعيم» في الآية الشريفة: «**ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ**»5 هو ولاية أهل البيت (عليهم السلام)6. فهذه هي النعمة الحقيقيّة.

أمّا التحليل الآخر فإنّه يتعيّن أن نأخذ بنظر الاعتبار المحيط الذي استُخدمت فيه اللفظة. فمن خلال إطلاق آخر، فإنّه من المسلّم أنّ كلّ ما أعطاه الله لنا هو نعمة؛ فالهواء الذي نتنفّسه، والقدرة على إغماض العين وفتحها، بل وحتّى القدرة على الكلام كلّها من نعم الله علينا. إذن فكيف نقول: إنّ النعمة هي ذلك الهدف النهائيّ؟

وهنا أيضاً، وطبقاً للاصطلاح، فإنّه ينبغي أن نسمّي كافّة العطايا الإلهيّة نعماً شأنيّة؛ وهي الشيء الذي يمكن الإفادة منه للوصول إلى الكمال النهائيّ. فإن نحن أفدنا منها على النحو الصحيح، كانت نعمة ولكنّنا إذا أسأنا استخدامها، فإنّنا نكون قد بدّلنا النعمة الشأنيّة لله تعالى إلى نقمة وبلاء؛ نظير قوله: «**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ**

اللهِ كُفْراً وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ»7. إذ أنّ الغاية من عطاء الله لنا كلّ ما أعطانا هي استعمال تلك الأُمور للوصول إلى الكمال، أي إلى قربه عزّ وجلّ. إنّ كافّة نعم الله، من دون استثناء، هي أدوات من أجل بلوغ ذلك الهدف النهائيّ، إلى ذلك المجال الذي لا نعلم تحديداً أين هو، وجُلّ ما نعلمه هو أنّه: «**فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ**»8. ذلك الموضع الذي سألَتْه امرأة فرعون من ربّها بقولها: «**رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ**»9، فإنّ كلّ ما في هذا العالم هو تحت تصرّفنا من أجل أن نستعين به للوصول إلى ذلك المقام.

إذن فإنّ لدينا نعمة بالذات، ونعمة بالعرض. فالنعمة بالذات هي تلك التي تختصّ بأولياء الله تعالى؛ وهي ما يوصلنا إلى الكمال النهائيّ، والنعم بالعرض هي تلك الأُمور التي يمكن أن تشكّل مقدّمة للكمال. ومن زاوية أُخرى فإنّ لدينا نعمة شأنيّة ونعمة فعليّة. فالنعمة الشأنيّة هي كلّ ما يمكننا استخدامه لبلوغ الكمال؛ بيد أنّنا قد نُسيء استعمالها أحياناً، فإن أحسنّا الإفادة من النعمة الشأنيّة واستعملناها في سبيل طاعة الله عزّ وجلّ فإنّنا أيضاً سنصبح مصداقاً للآية الشريفة التي تقول: «**وَمَن يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ**».

جعلَنا الله وإيّاكم من أهل هذه الآية الشريفة

---

1. بلاغات النساء، ص27؛ وبحار الأنوار، ج29، ص220.
2. سورة يس، الآية 82 .
3. سورة الحمد، الآيتان 6 و7.

4. سورة النساء، الآية 69.
5. سورة التكاثر، الآية 8 .
6. بحار الأنوار، ج10، ص209.
7. سورة إبراهيم، الآية 28.
8. سورة القمر، الآية 55.
9. سورة التحريم، الآية 11.

الجلسة السادسة: السيدة المحدثة

بسم الله الرحمـــٰن الرحيم

هذا الذي بين أيديكم هو عصارة لمحاضرة سماحة آية الله مصباح اليزديّ (دامت بركاته) ألقاها في مكتب سماحة وليّ أمر المسلمين بتاريخ 18 آب 2010م الموافق لليلة الثامنة من شهر رمضان المبارك من العام 1431هـ ، نقدّمها من أجل أن تزيد توجيهات سماحته من بصيرتنا وتكون نبراساً ينير لنا درب هدايتنا وسعادتنا.

السيّدة المحدَّثة

مفهوم الوحي والإلهام:

«**الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما ألهم**»1؛ تبتدئ الخطبة الفدكيّة بهذه العبارة وقد قمنا بتوضيح جملتها الأُولى في حدود ما وفّقنا الله تعالى إليه. أمّا في الجملة الثانية فتقول الزهراء (سلام الله عليها): «**وله الشكر على ما ألهم**»؛ أي إنّني أشكر الله وحده على ما ألهم. فما معنى الإلهام؟

كما هو الحال بالنسبة لكلمة «الوحي» فإنّ للفظة «الإلهام» في اللغة معنى عامّاً، أمّا في الشرع، ولاسيّما عند علماء علم الكلام والعقائد، فقد أصبحت مصطلحاً خاصّاً. فإنّه يستفاد من موارد استعمال لفظتي الوحي والإلهام في القرآن الكريم أنّهما ضرب من الإدراك (يكون أحياناً عن غير وعي، أو عن نصف وعي) لا يُكتسب عبر الأسباب العاديّة. وأقرب المعاني المطروحة في هذا المجال في معنى الوحي هو أنّه

الإشارة السريعة. فعندما يُشار الى أحد أن يأتي بفعل فإنّه يُقال: أُوحي إليه. كما يقول عزّ من قائل بخصوص النبيّ زكريّا (على نبيّنا وآله وعليه السلام): «**فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُواْ بُكْرَةً وَعَشِيّاً**»2؛ يعني: إنّه أشار إلى الذين كانوا يتعبّدون هناك أن: اشتغلوا بالذكر والعبادة؛ فقد استُعملت هنا لفظة الوحي. وحتّى في الموارد التي تتغلغل فيها وساوس الشيطان إلى قلوب الأشخاص وتؤثّر فيها فقد استُعمل تعبير الوحي أيضاً: «**وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ**»3؛ أي: إنّ الشياطين يوحون إلى تلامذتهم، وأصدقائهم، والمرتبطين هم. ويقول عزّ وجلّ في موضع آخر أيضاً: «**وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ**»4؛ فعبّر هنا عن وسوسة الشيطان بالوحي أيضاً. فالإنسان يساوره أحياناً إحساس بأنّ عليه فعل شيء، أو يخطر في ذهنه أمر ما، إمّا أن يكون خيراً أو شرّاً؛ وقد استُعملت لمثل هذه الموارد في أصل لغة العرب لفظة الوحي، فلعلّ الشيطان هو الذي يوحي إلينا أحياناً من دون أن نعلم. وحتّى بالنسبة للحيوانات، بل ــ بتعبير أدقّ ــ لجميع الموجودات فقد استُعمل تعبير الوحي كذلك: «**وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً**»5. فكلمة الوحي في تلك الآيات قد استُخدمت بمعناها اللغويّ؛ فالوحي هنا يعني لوناً من ألوان الإدراك الذي يتحقّق في موجود معيّن من دون أن يكون له دور في اكتسابه، بل وقد لا يعلم هو نفسه بأنّه يمتلك هذا الشيء.

أمّا في اصطلاح العلماء، خصوصاً علماء الكلام، وكذا في عرف المتشرّعة، فإنّ معنى الوحي ينصرف إلى نوع من علاقة التعليم والتعلّم بين الله وأنبيائه؛ فهو تعالى يوحي لمن كان نبيّاً. فالوحي اصطلاحاً لا يُطلق إلاّ على الإدراك الإلهيّ الغير العاديّ الذي

يلقيه الله تعالى على الأنبياء (عليهم السلام)، إذ لا يُستخدم تعبير الوحي بهذا المعنى حتّى فيما يخصّ الأئمّة الأطهار (صلوات الله عليهم أجمعين).

وفي مقابل هذا المصطلح فإنّ لدينا مصطلح الإلهام، لكنّ الفارق بين الإلهام والوحي ليس واضحاً تماماً؛ فكلاهما يحكيان عن معنى الإدراك الذي لا يأتي بالاكتساب والذي يوجَد في العادة دفعة واحدة، لكنّ الإلهام في عرف المتشرّعة وخصوصاً الشيعة منهم قد تحوّل إلى مصطلح خاصّ وهو أنّه إدراك خاصّ يمنّ الله عزّ وجلّ به على أوليائه. فالإلهام هو ضرب من الإدراك يكون من سنخ الوحي إلاّ أنّه أضعف منه. وقد جاء في بعض الأحاديث في الفَرق بين الوحي والإلهام أنّ الملَك يشاهَد أثناء الوحي لكنّه لا يشاهَد في حالة الإلهام ولا يُحَسّ إلاّ بأثّره في القلب.

أقسام الإلهام:

لقد ذكر القرآن الكريم نوعاً واحداً من الإلهام يشمل جميع البشر؛ إذ يقول الباري تبارك وتعالى في سورة الشمس بعد أن يُقسِم أحد عشر قَسَماً: «**فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**»6؛ أي ألهم نفس ابن آدم وروحه الفجور والتقوى. فجميع البشر يميّزون بين الخير والشر عبر قوّة إدراك قد أودعها الله تعالى فيهم، أو إنّهم يشعرون في قرارة أنفسهم بالميل إلى العمل الصالح أو الطالح. فهم لم يكتسبوا ذلك الميل بأنفسهم ولا هم تعلّموه من أحد أيضاً؛ فهذا هو إلهام إلهيّ.

والإلهام يكون تارة من سنخ الإدراكات؛ بمعنى أنّ الله يُفهّم الإنسان أمراً ما، وتارة أُخرى من سنخ الميل؛ أي إنّ الله يُلهم المرء ميلاً نحو أمر معيّن. وكذا هو الحال

بخصوص الوحي، إذ يقول القرآن الكريم في هذا الصدد: «**وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ**»7؛ فالله يوحي لأوليائه فعل ذلك، فهنا لم يقل: «العلم بالخيرات»، بل قال: «فعل الخيرات»، فالظاهر أنّ عين الفعل هو الذي يوحَى؛ بمعنى أنّ الميل والتزوع إلى فعل الخير يوجَد في أولياء الله بعناية من الله تعالى. وإنّ لله من مثل تلك الأُمور الكثير؛ مثل: «**حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ**»8. فهذا هو فعل الله تبارك وتعالى. فعندما يؤمن المرء بقلبه، وينتفع من نعمة هداية الله، ويشكر الله عليها، فإنّ الله من جانبه سيؤجره على ذلك، وأجر الله للمؤمن هو أن يحبّب إلى قلبه الإيمان والعمل الصالح، فلا تميل نفسه، في المقابل، إلى الكفر والفسوق والعصيان. بل إنّه سيكره فعل المعصية أساساً.

ولعلّ في ترتيب هذه الكلمات الثلاث تنويهاً لمراتب الكُره. فكلّ المؤمنين يبغضون الكفر، ثمّ يأتي الفسق في الدرجة الثانية في الكراهية؛ فالمؤمن لا يحبّ أن يكون إنساناً متفلّتاً من القيود. فحينما يستحكم إيمان المؤمن، ويمسي أكثر انتفاعاً من نعمة الهداية الإلهيّة، فإنّ الله تعالى سيغدق عليه من العنايات ما يجعله يبغض الذنوب أيضاً. وكأنّ للذنب في شامّة المؤمن رائحة هي من النتانة بحيث تجعله ينفر منها. فهذه الأُمور هي من فعل الله عزّ وجلّ. فقد أودع سبحانه وتعالى في جميع البشر نوعين من الميول؛ فمن ناحية نحن جميعاً نحبّ أفعال الخير، وعندما يأتي امرؤ بفعل خير نفرح لذلك حتّى وإن لم يكن الأمر متعلّقاً بنا من قريب أو بعيد. فهذا هو جانب من فعل الله للإنسان حيث يقال: «ألهمه التقوى». ومن ناحية أُخرى فإنّنا نجد في أنفسنا ميلاً إلى كلّ لذّة، حتّى وإن كانت معصية. فالضعفاء في الإيمان من الناس لا يلتفتون إلى كون اللذّة حراماً أو حلالاً. فجميع البشر ابتداءً وبشكل طبيعيّ يحبّون هذه اللذائذ؛

لكنّه كلّما تقدّموا في طريق الإيمان فإنّ هذه الميول تتحدّد و تأخذ اتجاها معيّنا فلا يعودون يرغبون باللذائذ التي تتأتّى عن طريق المعاصي والخطايا. فعندما يعبدون ويأتون بالطاعات فإنّ الميل إلى الأنس مع الله يتزايد ويقوى في وجودهم يوماً بعد آخر حتّى يصلوا إلى حدّ الشوق الجارف إلى عبادة الباري تعالى.

وفي مقابل الإلهمات العامّة هناك إلهامات خاصّة لا تكون إلاّ من نصيب من أحسن الانتفاع من الأُولى. والإلهامات الخاصّة يختصّ بها أولياء الله على الصعيدين النظريّ والعمليّ. فأولياء الله يفهمون اُموراً لا يدركها الآخرون. فأحياناً تهفوا نفوسهم إلى فعل أمر حتّى كأنّ مُناديا ينادي في وجود ذلك الوليّ: افعل هذا العمل الحسن! فهو يشعر فجأة بدافع قويّ لفعل هذا الأمر. فالأئمّة الأطهار (سلام الله عليهم أجمعين) والسيّدة الزهراء (عليها السلام) كان لهم حظّ وافر من هذه الموهبة الإلهيّة.

كما أنّ رواياتنا قد استخدمت مصطلحاً آخر للإلهام وهو «التحديث». إذ أنّ واحداً من ألقاب الزهراء (سلام الله عليها) هو «المحدَّثة». وقد يُشتبه أحياناً فيُقال: محدِّثة ظنّاً بأنّه من باب نقلها (عليها السلام) للحديث، في حين أنّ كلمة «محدَّث» تُطلق على الشخص الذي تتحدّث معه الملائكة وتروي له الأحاديث. فجميع الأنبياء والأئمّة المعصومين (عليهم السلام) كانوا محدَّثين. فإنّ لله تعالى إلهامات لغير الأنبياء أيضاً؛ بل وحتّى لغير الأئمّة (عليهم السلام) كذلك؛ بمعنى أنّ هناك ملَكاً يتحدّث مع الإنسان بينما لا يرى هو هذا الملك. وهذا مقام يعطيه الله عزّ وجلّ للخواصّ من عباده.

هنا قد يُطرح سؤال هو: إنّنا، من ناحية، نحصر مصطلح المعصوم في جماعة معيّنة من الناس، ومن ناحية اُخرى نحن نعلم أنّ بعض أولاد الأئمّة (عليهم السلام) بل وبعض أولياء الله أيضاً لم يقترفوا في حياتهم ذنباً قطّ فهم، بعبارة اُخرى، معصومون؛ فكيف لنا أن نجمع بين هذين الأمرين؟ الجمع بينهما هو بهذه الكيفيّة: الظاهر أنّ المعصومين الأربعة عشر هم اولئك الذين ضمن الله عصمتهم، وكما أنّه عزّ وجلّ قد ضمن لنا عصمة الأنبياء بحيث إنّهم لا يرتكبون معصية أو خطيئة، فقد ضمن لنا نفس هذا الشيء بالنسبة للأئمّة الأطهار والسيّدة فاطمة الزهراء (سلام الله عليهم أجمعين).
وإنّنا نملك الدليل القطعيّ على ضرورة عصمتهم، لكنّ هذا لا يعني أنّ غيرهم لا يمكن أن يكون في عداد المعصومين. المرحوم آية الله العظمى بهجت (رضوان الله عليه) كان يقول: في النجف الأشرف كانت لي معرفة بشخص. وعلى الرغم من أنّه كان عاملاً بسيطاً لكنّه في لحظات الاحتضار، وأثناء حضور المرحومين آية الله الخوئيّ وآية الله الميلانيّ عند رأسه، سُمع يقول: «إلهي! إنّك تشهد على أنّني مُذ بلغت سنّ التكليف وحتّى الساعة لم أرتكب ذنباً عن علم منّي أو عمد». وإنّني لأظنّ ظنّاً قويّاً أنّ المرحوم آية الله بهجت لم يرتكب أيّ ذنب حتّى قبل بلوغه سنّ التكليف، بل إنّنا لم نشاهد منه بعد تكلّفه حتّى ما يمكن إثبات كراهته! فليس بعزيز على الله أن يربّي عباداً كهؤلاء؛ لكنّ ذلك لا يعني أنّ المعصومين الأربعة عشر قد أصبحوا خمسة عشر معصوما!

توطئة لبيان الإلهامات الإلهيّة:

بعد الحمد لله على ما منّ به من النعم، تقول السيّدة الزهراء (سلام الله عليها) في خطبتها الشريفة: «**وله الشكر على ما ألهم**»؛ ويمكن هنا طرح احتمالين: أحدهما

أنّ القصد من هذا الإلهام هو ذلك الإلهام العامّ الذي يشمِل الله به جميع البشر، بل وحتّى غير البشر أيضاً ولمّا كانت الزهراء (عليها السلام) هي واحدة من أفراد البشر وقد وُهبت هي أيضاً هذه النعمة فهي تشكر الله عليها؛ بالضبط كما نشكر الله على أن أعطانا عيناً. فالله تعالى قد أعطى نعمة العين للكثير من البشر، بيد أنّ هذا لا يمنع من أن نشكر الله عليها. لكن لعلّ الاحتمال الأقوى لذلك هو أنّها (عليها السلام) تشكر الله عزّ وجلّ على ما منّ به على هذه الأُسرة من الإلهامات الخاصّة، وتعبير الشكر في هذه الحالة هو أكثر مناسبة من الحمد؛ ذلك أنّ الجانب الملحوظ في الشكر هو الثناء على مَن أعطاني نعمة بشكل خاصّ. بالطبع إنّ المعنى الأوّل ليس هو بالخاطئ أيضاً، لكن يبدو أنّ المعنى الثاني هو أكثر مناسبة للمقام، وهذا ضرب من براعة الاستهلال؛ بمعنى أنّه لّما كان من المقرّر أن تشير (سلام الله عليها) في هذه الخطبة إلى مواضيع قد ألهمها الله تعالى إيّاها، فهي (عليها السلام) تنوّه في مستهلّ كلامها بأنّ الله قد ألهمنا أُموراً وإنّني لأشكر الله بادئ ذي بدء على ما منّ به علينا من تلك النعم الخاصّة.

قصّة مصحف فاطمة (سلام الله عليها):

ومن جملة هذه الإلهامات تلك التي نتج عنها مصحف فاطمة (عليها السلام). لقد ورد في الكثير من الأحاديث بأنّه في غضون تلك الأيّام القلائل التي تلت رحيل النبيّ الأعظم (صلّى الله عليه وآله) حيث نزلت بهذه السيّدة الجليلة (سلام الله عليها) من عظيم المصائب وجليل الخطوب ما يستعصي عن الوصف فإنّ الله عزّ وجلّ كان يرسل جبرئيل (عليه السلام) ليتحدّث إلى فاطمة (سلام الله عليها) ويسلّيها علّه يثنيها عن التفكير المتواصل بما حلّ بها من المحن والمصائب. فقد كان جبرئيل يروي

لها ما سيجري من اُمور وحوادث في المستقبل. ثمّ جمعت تلك الاُمور واُطلق عليها اسم «مصحف فاطمة» (سلام الله عليها). وقد نُقل في بعض الأخبار أنّه لم يكن في ذلك المصحف شيء من الحرام والحلال وكان يقتصر على التنبّؤات التي كان جبرئيل (عليه السلام) ينقلها للسيّدة الزهراء (سلام الله عليها) عمّا سيكون من الامور. وقد دوّنت (عليها السلام) ما كانت تُحدَّث به وجمعته بصورة كتاب9.

فالمصحف هو الشيء المجموع. وقد ظنّ بعض الجهلة أنّ هذا المصحف هو في مقابل القرآن الكريم؛ أي إنّ القرآن هو مصحف النبيّ (صلّى الله عليه وآله) وإنّ السيّدة الزهراء (سلام الله عليها) هي الاُخرى لها مصحف في مقابل ذلك. فبعض التهم التي تُوجَّه إلى الشيعة هي القول: إنّ الشيعة يعتقدون بأنّ فاطمة الزهراء (عليها السلام) كانت نبيّة أيضاً، وكان لها مصحف هو غير القرآن، وإنّ الشيعة يعتقدون بقرآن آخر خاصّ بهم! والحال أنّ هذا المصحف لم يكن إلاّ أحاديث جبرئيل تلك وقد جمعتها (سلام الله عليها) على هيئة كتاب. يقول أئمّتنا الأطهار (عليهم السلام) في العديد من الروايات: «**نظرتُ في مصحف فاطمة**...»10. وعلى أيّة حال فإنّ هذا المصحف هو من مصاديق الإلهامات التي خُصّت بها السيدة الزهراء (سلام الله عليها)، ولعلّ جملة: «**وله الشكر على ما ألهم**» هي من قبيل براعة الاستهلال لِما ستشير إليه (عليها السلام) أثناء خطبتها من الإلهامات.

---

1. بلاغات النساء، ص27؛ وبحار الأنوار، ج29، ص220.
2. سورة مريم، الآية 11.
3. سورة الأنعام، الآية 121.

4. سورة الأنعام، الآية 112.
5. سورة النحل، الآية 68.
6. سورة الشمس، الآية 8 .
7. سورة الأنبياء، الآية 73.
8. سورة الحجرات، الآية 7.
9. بحار الأنوار، ج26، ص44.
10. الكافي، ج1، ص240؛ وبحار الأنوار، ج26، ص44.

الجلسة السابعة: بحر النعم الالهية

بسم الله الرحمـــٰن الرحيم

هذا الذي بين أيديكم هو عصارة لمحاضرة سماحة آية الله مصباح اليزديّ (دامت بركاته) ألقاها في مكتب سماحة وليّ أمر المسلمين بتاريخ 19 آب 2010م الموافق لليلة التاسعة من شهر رمضان المبارك من العام 1431هـ ، نقدّمها من أجل أن تزيد توجيهات سماحته من بصيرتنا وتكون نبراساً ينير لنا درب هدايتنا وسعادتنا.

بحر النعم الإلهيّة

التفاوت بين النعم، والآلاء، والمنن:

«وَالثَّنَاءُ بِمَا قَدَّمَ؛ مِنْ عُمُومِ نِعَمٍ ابْتَدَأَهَا، وَسُبُوغِ آلاَءٍ أَسْدَاهَا، وَتَمَامِ مِنَنٍ أَوْلاَهَا، جَمَّ عَنِ الإِحْصَاءِ عَدَدُهَا، وَنَأَى عَنِ الْجَزَاءِ أَمَدُهَا، وَتَفَاوَتَ عَنِ الإِدْرَاكِ أَبَدُهَا»1.

ابتدأت هذه الخطبة الشريفة بالحمد والشكر لله عزّ وجلّ والثناء عليه وقد أشرنا إلى الفرق بين تلك المفردات. تقول الزهراء (سلام الله عليها) مستطردة في كلامها: «والثناء بما قدّم»؛ أي: إنّني أُثني على الله عزّ وجلّ بما وضع بين أيدي عباده. والظاهر أنّ اختيار هذه اللفظة جاء مراعاةً للسجع مع ما سبقها من الجمل. فكلمة «قدَّم» تعني: جعل الشيء قدّامك. فعندما يُراد القول في العربيّة: وضَع الشيء بين يديه أو تحت تصرّفه يُقال: قدّمه له. والثناء هو حمد مطلق؛ فيكون على ما هو أعمّ من النعم التي منّ الله بها على الإنسان نفسه وتلك التي أعطاها لغيره من المخلوقات.

ثمّ تسترسل (عليها السلام) في كلامها مبيّنة تلك النعم. وقد كان بإمكانها القول: «مِن نعم عامّة، وآلاء جمّة»، بيد أنّ التركيب الذي اختير هنا يفوق ذلك لطافةً بكثير. فعوضاً عن أن تحصي نفس النعم ثمّ تصفها بأنّها عامّة، فهي (سلام الله عليها) تستند بدايةً إلى هذا العموم في النعم فتقول: «من عموم نعم ابتدأها»؛ ومعناه: من النعم العامّة والشاملة التي وضعها في متناول المتنعّمين. فبعض نعم الله تعالى تكون من النمط الذي لابدّ للمتنعّم أوّلاً أن يحوز الشروط اللازمة لنيلها فيُنعم الله عليه بتلك النعمة تبعاً لذلك، أمّا النمط الآخر من النعم فهي تلك التي يُسبغها الله على المتنعّم قبل أن تتوفّر فيه شروط إدراكها. فالله سبحانه وتعالى يخلق للجنين رزقه ويودعه في صدر اُمّه وهو ما يزال في بطنها و لم يولَد بعد. والأعظم من ذلك تلك النعم التي يهيّئها الله عزّ وجلّ للإنسان قبل خلقه؛ فقبل أن يُخلق البشر كانت الأرض، والهواء، والنور، والحرارة، والمواد الغذائيّة موجودة، فقد هيّأ الله تلك النعم للإنسان قبل أن يخلقه. ونحن نقرأ في بعض الأدعية: «**يَا مُبْتَدِئاً بِالنِّعَمِ قَبْلَ اسْتِحْقَاقِهَا**»2؛ أي: يا مبتدئاً بالنعم قبل أن يتوفّر الاستحقاق لها. بالطبع من الممكن أن يكون لعبارة «قبل استحقاقها» معنى آخر وهو أنّ الموجودات المختارة تستحقّ الثواب بعد الإتيان بأعمالها الاختياريّة، غير أنّ الله تعالى يبادر عباده بإعطاء النعم قبل أن يأتوا بما يستحقّون عليه تلك النعم من الأعمال الاختياريّة؛ كما في نعمة الهداية. ثمّ تقول البتول (عليها السلام): «**وسبوغ آلاء أسداها، وتمام منن أولاها**».

إنّ بعض اللغات تفوق غيرها غنىً من حيث المفردات والتراكيب، فاللغة العربيّة مثلاً تتمتّع بمستوى رفيع من الغنى في المفردات إذا ما قيست باللغة الفارسيّة؛ لذا فقد توجد في مقابل كلمة فارسيّة واحدة بضع كلمات عربيّة معادلة بحيث يكون لكلّ

منها خصوصيّات معيّنة. ونحن هنا أمام لفظتين هما: التقديم، والنعمة. ففي اللغة الفارسيّة توجد عندنا كلمة «تقديم» وهي في الأصل عربيّة، ويصعب العثور على ما يعادلها في اللغة الفارسيّة ممّا يكون مستخدَماً في الوقت الحاضر ويفيد نفس المعنى. كما أنّه ليس لدينا في الفارسيّة غير مفردة «نعمت» لبيان معنى «النعمة» وهي الأُخرى مستعارة من اللغة العربيّة. أمّا في اللغة العربيّة فتوجد ثلاث مفردات لهذا المعنى هي: «النعمة»، و«الإلى»، و«المنّة» حيث تُجمع بالترتيب على هذا النحو: «النعم»، و«الآلاء»، و«المنن» وتوجد بينها اختلافات ظريفة. فكلمة «النعم» تُطلق على كلّ النعم وكلّ شيء يلائم الطبع ولها معنى عامّ. أمّا بخصوص «الآلاء» فقد قالوا: هي تلك النعم التي تلبّي حاجة المتنعّم بالكامل. فالله عزّ وجلّ يُكثر في سورة الرحمٰن من القول: «**فَبِأَيِّ ءَالاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**»3، ويقول في موضع آخر: «**فَاذْكُرُواْ ءَالاَءَ اللهِ**»4؛ فتلك هي النعم التي لوحظت فيها تلك الخصوصيّة. وإلى جانب تلك المفردات استخدمت السيّدة الزهراء (سلام الله عليها) مفردة «المنّة» وهي وجمعها «المنن» تطلَق على النعم الثمينة والنفيسة للغاية؛ ومن هذا المنطلق فقد استخدم الباري جلّ وعلا في كتابه الحكيم الفعل «منّ» بدلاً من «أنعم» في موارد خاصّة، مثل: «**لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً**»5؛ فهو يبيّن نعمة وجود النبيّ من خلال تعبير «المنّ» وهذا يعني انّه: أنعم بنعمة عظيمة ثمينة.

فالزهراء (سلام الله عليها) استعملت في البدء لفظة النعم، ثمّ أتبعتها بالآلاء، فأردفتها بالمنن؛ أي إنّ كلّ مفردة تتلوا تكون أرقى من حيث المعنى. وهذه هي من مراتب فصاحة الكلام، حيث عندما يؤتَى بعدّة مفردات متشابهة فإنّه يُتَدرّج فيها من الضعيف إلى الأقوى فالأقوى؛ فإنّ إعطاء النعم قد بُيّن بمفردات شتّى، وهذا يدلّ

بوضوح على مدى تسلّط المستخدِم لتلك المفردات على الكلام، والألفاظ والتراكيب!

«**وسبوغ آلاء أسداها**». لقد استخدمت هنا مادّة «السبوغ»، ليكون المعنى: إنّني أُثني على الله لِما أنعم به من وافر النعم الخاصّة. فالمراد من قوله تعالى: «**أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ**»6 هو أنّه وضع في متناولكم الكثير الوافر من نعمه. «**وتمام منن أولاها**» أو «...والاها»، و«أَوْلى النعم» أي: أعطاها. وتتمتع هذه المفردة بمعاني كثيرة منها: «إنجاز العمل وإتمامه». وقد وردت في بعض النسخ بلفظة: «والاها»؛ والموالاة بمعنى الإتباع. فإن كانت بلفظة «والاها» فيمكن القول: لقد روعيت فيها التفاتة ظريفة وهي أنّه عندما يمنّ الله على أحد بنعمة فإنّه لا يكتفي بهذا المقدار، بل إنّه يُتبعها بإعطاء نعمة أكبر وأضخم.

«**جمّ عن الإحصاء عددُها، ونأى عن الجزاء أمدها، وتفاوت عن الإدراك أبدها**»؛ فهذه النعم هي على جانب من الوفرة بحيث لا يتيسّر إحصاؤها، وإنّ زمانها ووقت انقضائها هو من الامتداد بحيث لا يُتصور الجزاءُ عليها، وإنّ أبَديّة تلك النعم واستمرارها تستلزم تخطّيها لحدود مداركنا. فقد ذكرت السيّدة الزهراء (عليها السلام) هنا ثلاث سمات للنعم الإلهيّة: أوّلها من منطلق الكمّ، حيث قالت: إنّ عددها يفوق ما يمكن إحصاؤه. وثانيها من حيث النوعية، فقالت: هي تتّصف بعدم إمكانيّة مقابلة معطيها بالمثل أو مجازاته. والثالثة من باب المحدوديّة، فهي تقول: إنّها غير متناهية. وسنقدّم في سياق بحثنا توضيحاً بخصوص هذه الأوصاف.

النعم الإلهيّة غير قابلة للإحصاء:

إنّ قضيّة عدم قابليّة نعم الله للإحصاء: «**جمّ عن الإحصاء عددها**» هي من الأُمور التي لاقت تأكيداً شديداً في القرآن الكريم؛ فالله عزّ وجلّ يقول: «**وَإِنْ تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا**»7. إنّني شخصيّاً لا أعتقد أنّ هناك مَن يساوره شكّ في أنّنا لا نستطيع إحصاء وحساب نعم الله بالتفصيل؛ غير أنّ هناك فرقاً بين قولنا على نحو العموم والإجمال: لا نستطيع، وبين أن نختبر أنفسنا قليلاً لنرى السبب في عدم قدرتنا على الإحصاء.

لقد خُلق الإنسان على شاكلة بحيث لا يكون لتصوّراته أثر كبير على عمله أو أحاسيسه النفسانيّة إلاّ عندما يدرك تفاصيلها ويتصوّرها. فكلّنا يعلم أنّ محبّة الأمّ هي محبّة أُسطوريّة وأنّ الله قد وهبها قدراً فائقاً منها. فتارةً نقول بشكل مجمل وعامّ: إنّ محبّة الأُمّ كبيرة ولا نستطيع الوفاء بحقّها، وهذا بالطبع كلام صحيح. لكنّنا إذا تأمّلنا قليلاً في بعض تفاصيل محبّة الأمّ، فحينئذ سندرك أكثر مدى ما ينبغي الإحساس به من الخضوع أمامها. لنتأمّل في مقدار المشاقّ التي تعانيها الأُمّ من أجل طفلها في ليلة واحدة. فإن كانت هناك بضع أُمّهات نائمات بين مجموعة من الناس مع أطفالهنّ، واستيقظ أحد الأطفال باكياً، فإنّ أُمّ ذلك الطفل وليس غيرها ستهبّ من نومها. فإن رأت طفلها يشكوا ــ مثلاً ــ ألماً في بطنه، أو حروقاً في قدمه، أو غير ذلك فإنّها ستنهض فوراً من مكانها وتحاول جاهدة أن تُسكت طفلها وتهدّئ من روعه. فلو بقي الطفل مضطرباً خلال ليلة طويلة في الشتاء حتّى الصباح فلن تذوق الأُمّ طعم الراحة في تلك الليلة. فهي لا تتضايق ولا تملّ من إرضاعه، أو ملاطفته، ولا تبخل عليه بالشفقة والحنان، أو ...الخ. فمَن منّا على استعداد لأن يوصل ليله

بصباحه في المعاناة من أجل العناية بطفل كلّ تلك العناية؟ فعندما يتصوّر المرء تلك الأُمور واحداً واحداً فسيتولّد عنده تصورّ وإدراك مختلف عن قيمة معاناة الأُمّ. فالأُمّ تتحمّل كلّ تلك المتاعب وتبدي كلّ تلك الشفقة من أجل طفلها الصغير على مدى سنوات عديدة.

وشكر الله عزّ وجلّ ينتج من إحساس معيّن. فالإنسان يشعر في بادئ الأمر بأنّ هناك دَينا في رقبته، وهذه من جملة المشاعر الإلهيّة الطاهرة التي أودعها الباري تعالى بشكل فطريّ في وجود الإنسان وهو إحساسه بأنّه مدين لمن أسدى إليه خدمة وشعوره بضرورة إثابة ذلك الشخص على خدماته بنحو من الأنحاء؛ مثلاً بالشكر اللسانيّ على الأقلّ. هذا الإحساس لا يتولّد في أنفسنا على النحو الصحيح إلاّ إذا أدركنا تفاصيل نِعم الله علينا. فمعرفتنا إجمالاً بأنّ الله قد أنعم علينا بسلامة البدن ليس بكاف. إذ علينا أن ندرك بالتفاصيل ما معنى سلامة البدن؟

فعين الإنسان لها عدّة أقسام يتألّف كلّ منها من ملايين الخلايا المختلفة. فإذا تضرّر أحد أقسام العين؛ كأن أُصيبت بالماء الأسود فكم عليه أن يتحمّل من المعاناة والنفقات من أجل علاجها؟ وسائر أعضاء البدن هي على هذا النحو أيضاً. وكذا الامر بالنسبة الى تسوّس واحد من تلك العظام الصغيرة المسمّاة بالأسنان والتي وضعها الله تعالى في فمنا من أجل مضغ الطعام، فمهما أنفق الإنسان عليه من المال فلن يعود إلى سابق عهده! إذن فكيف تثمّن تلك الأُمور؟! إنّنا لا ندري ما قيمتها حقيقة!

هذه هي النعم الموجودة. أيّ مقدّمات كان لابدّ من توفّرها من أجل إنتاج واحدة من تلك النعم؟ وما هي العوامل التى كان ينبغي أن تتكاتف بغية تشكيل هذه الأعضاء بالشكل الذي هي عليه الآن؟ فإنْ نحن فكّرنا بما هو موجود في بدننا فحسب فسندرك حينئذ مدى الدَّين الضخم الذي في رقبتنا تجاه ربّنا!

فوائد التدبّر في نعم الله تعالى:

إنّ هذا اللون من التفكّر والتدبّر يفيض علينا فوائد جمّة. الفائدة الأُولى التي تُجنى منه هو إدراك المرء لمقدار ما يملكه. فسيفهم حينئذ كيف يقيّم أعضاءه البسيطة كالظفر والشعرة، ناهيك عن الأعضاء الأكثر أهمّية كالعين، والأذن، و...الخ. فلقد أعطانا الله كلّ تلك النعم بالمجّان. فالفائدة الأُولى التي يمكن أن نجنيها من هذا التدقيق هو أنّ الإنسان سيرى نفسه غارقاً في النعم ولا يعد نفسه فقيراً على الإطلاق.

والفائدة الأُخرى هي عدم جزع الإنسان حيال المصاعب التافهة. فعندما لا نكون ملتفتين إلى مقدار النعم التي أنعم الله بها علينا، فإنّنا سنواجه الله بآلاف الألوان من الجزع جرّاء صداع بسيط!

أمّا الفائدة الثالثة المستقاة من ذلك فهي أنّه عندما يشاهد المرء كلّ تلك النعم فسيتولّد لديه الدافع للشكر. فالذي تكون فطرته سليمة فإنّه يسعى إلى التشكّر ممّن يعطيه شيئاً أو يسدي إليه خدمة. أفلا يبادر الإنسان إلى شكر ربّه إذا علم بمدى ما أنعم عليه من الفضل والنعم؟!

والفائدة الرابعة هي أنّ الشكر يؤدى الى زيادة النعم: «**لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ**»8. وأخيراً فإنّ هذا الشكر هو من موجبات سعادة الشاكر الأبديّة. فليس أنّ نعمته تزداد في الدنيا فحسب؛ بل إنّ الله سيرضى عنه وسيثيبه. ففضيلة العبادة المأتيّ بها بدافع الشكر هي أكبر بكثير من تلك العبادة المأتيّ بها بدافع الخوف. فبعد أن يقسّم الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) العبيد إلى ثلاثة أصناف، فإنّه يستدرك قائلاً: «...**وَلَكِنِّي أَعْبُدُهُ شكراً لَه**»، وفي رواية: «**حبّاً له**»9.

نِعم الله لا يمكن مجازاتها:

«**ونأى عن الجزاء أمدها**». إنّ النعم الإلهيّة هي ممّا لا يمكن قياسه بإحسان الآخرين للإنسان. فإن أهدى أحدهم للمرء كتاباً فبإمكان الأخير مقابلته بهديّة اُخرى مجازاةً على لطفه. لكن كيف يا ترى يمكن مجازاة النعم الإلهيّة؟! فإنّ كلّ ما نملك وما هو موجود فهو من الله عزّ وجلّ. فبأيّ شيء يمكننا مجازاته وشكره كي نقول: لقد مننتَ عليّ بمليارات النعم، وأنا اُقدّم لك في المقابل هذه الهديّة البسيطة؟! بل من أين نأتي بهذه الهديّة؟

النعم الإلهيّة عصيّة على التصوّر:

وأخيراً فإنّ نعم الله لا تقتصر على هذه النعم الدنيويّة المحدودة والعابرة: «**وتفاوتَ عن الإدراك أبدها**». فإنّ لله جلّ وعلا نعماً أبديّة. لكن ما المراد من الأبديّة؟ إنّنا، أساساً، غير قادرين على تكوين تصوّر صحيح عن مفهوم الأبديّة. إذ أنّنا دوماً ندرك أمثال هذه المفاهيم عبر قيد منفيّ. فكلّما أردنا تصوّر الشيء الغير المتناهي فإنّه ينبغي

لنا أن نتصوّر المتناهي في البداية، ثمّ نتصوّر حرف نفي فنلحقه به؛ فنقول حينئذٍ: إنّنا تصوّرنا الشيء الغير المتناهي! في حين أنّنا لم نتصوّر الغير المتناهي؛ بل تخيّلنا المتناهي ثمّ نفيناه. فأذهاننا عاجزة عن إدراك الغير المتناهي. وهذا هو الحال مع صفات الله تعالى. فإنّ عدم مقدرتنا على إدراك حقيقة صفات الله عزّ وجلّ يمكن تقريبها من باب أنّ صفات الله لا حدّ لها ولا حصر.اللهمّ تحنّن علينا بنفحة ممّا وهبت لأوليائك من المعرفة.

---

1. بلاغات النساء، ص27؛ وبحار الأنوار، ج29، ص220.
2. بحار الأنوار، ج51، ص305.
3. سورة الرحمٰن، الآيات 13 و16 و18.
4. سورة الأعراف، الآيتان 69 و74.
5. سورة آل عمران، الآية 164.
6. سورة لقمان، الآية 20.
7. سورة النحل، الآية 18.
8. سورة إبراهيم، الآية 7.
9. بحار الأنوار، ج67، ص18.

الجلسة الثامنة: شكر النعم الالهية

بسم الله الرحمـٰن الرحيم

هذا الذي بين أيديكم هو عصارة لمحاضرة سماحة آية الله مصباح اليزديّ (دامت بركاته) ألقاها في مكتب سماحة وليّ أمر المسلمين بتاريخ 20 آب 2010م الموافق لليلة العاشرة من شهر رمضان المبارك من العام 1431هـ، نقدّمها من أجل أن تزيد توجيهات سماحته من بصيرتنا وتكون نبراساً ينير لنا درب هدايتنا وسعادتنا.

شكر النعم الإلهيّة

النعم الإلهيّة، والعباد:

«وَنَدَبَهُمْ لاسْتِزَادَتِهَا بِالشُّكْرِ لاتِّصَالِهَا، وَاسْتَحْمَدَ إِلَى الْخَلائِقِ بِإِجْزَالِهَا، وَثَنَّى بِالنَّدْبِ إِلَى أَمْثَالِهَا»1.

إنّ هذه الخطبة هي على درجة من الروعة والإمعان في الفصاحة والبلاغة حتّى إنّ المتخصّصين في هذا الفنّ ليقفون عاجزين عن بيان دقائق الالتفاتات الموجودة في هذه العبارات. فعندما يقرأ المرء هذه الخطبة يلتفت إلى أنّها تنطوي على جمال خاصّ. فالقسم الأوّل من الخطبة الذي يتضمّن الحمد لله والثناء عليه ينقسم بدوره إلى أربعة أقسام بُيِّن كلّ قسم منها في ثلاث جمل رُكّبت تركيباً خاصّاً من حيث السجع والنظم والوزن؛ إذ تقول الزهراء البتول (عليها السلام) في القسم الأوّل منها:

«**الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما ألهم، والثناء بما قدّم**»، وتُتبع ذلك في

القسم الثاني بالقول: «من عموم نعم ابتدأها، وسبوغ آلاء أسداها، وتمام مِنن أولاها»، أمّا في القسم الثالث فتقول: «**جمّ عن الإحصاء عددها، ونأى عن الجزاء أمدها، وتفاوت عن الإدراك أبدها**». ولقد قدّمنا في المحاضرات الفائتة شرحاً لهذه العبارات.

أمّا في القسم الرابع فتختتم الزهراء (عليها السلام) فقرة الحمد بثلاث جمل اُخريات تبيّن فيها من خلال السجع والقافية الخاصّين أيضاً ــ العلاقة التي تربط النعم الإلهيّة بالعباد. ففي العبارات السابقة بيّنت (سلام الله عليها) ما يختصّ بكثرة النعم الإلهيّة وكيفيّتها وطول أمدها وفي ذلك بيان لخصائص نفس النعم. أمّا في القسم الحاليّ فقد ركّزت على علاقة النعم بالخلائق وتعاطي المتنعمّين لها.

تقول فاطمة الزهراء (سلام الله عليها): «**وَنَدَبَهُمْ لاسْتِزَادَتِهَا بِالشُّكْرِ لاتِّصَالِهَا، وَاسْتَحْمَدَ إِلَى الْخَلائِقِ بِإِجْزَالِهَا، وَثَنَّى بِالنَّدْبِ إِلَى أَمْثَالِهَا**»؛ فالله عزّ وجلّ يثير في الناس الدافع إلى الحمد من خلال إسباغ تلك النعم الجمّة وكأنّه بذلك يطالبهم بحمده عليها من خلال العمل. وعلاوة على ذلك فهو يدعوهم إلى مطالبته بالمزيد من أمثال تلك النعم.

في هذه الجمل الثلاث تشير الزهراء (سلام الله عليها) إلى بضع نقاط. النقطة الاُولى هي أنّ الله تعالى، مضافاً إلى إعطائه النعم لعباده ابتداءً، فقد دعاهم إلى شكر تلك النعم من أجل نيل المزيد منها، وهذا الباب بحدّ ذاته هو نعمة عظيمة تفوق غيرها من النعم. فعلى الرغم من أنّ الله عزّ وجلّ لم يقصّر بشيء عند إسباغه لتلك النعم ابتداءً؛ لكنّه، بالإضافة إلى ذلك، فقد فتح لعباده باباً آخر للاستزادة من تلك النعم،

وهذا يحكي عن سنّة إلهيّة جديدة. فالسنّة الأُولى هي أنّ الله يعطي لمخلوقات هذا العالم كلّ ما يلزمهم لمعيشتهم. غير أنّه تحنّى عليهم بلطف أسمى في إجازته لهم بالإفادة من المزيد من النعم. إذ يمكن لحياة الإنسان أن تستمرّ بما يسدّ رمقه من يسير الطعام وليس ثمّة من ضرورة لأن يضع في متناوله تلك الأصناف من الفاكهة، والخضار، واللحوم، واللبن، والعسل، وأنواع النباتات المختلفة، فمواصلة الإنسان لحياته من دون تلك الأُمور أمر مقدور عليه. إذن تنوّع الغذاء هو بحدّ ذاته نعمة زائدة. وكذا الأمر في سائر المسائل؛ فبعض الأشياء تكون ضمن حدّ الضرورة واحتياج الإنسان فقط، غير أنّ هناك إمكانيّة استفادته من نعم الله تعالى بما يفوق ما تستدعيه حاجته وجنْي المزيد من اللذّة منها، أمّا السبيل إلى ذلك فهو أن يقْدر النعم التي منّ الله بها عليه حقّ قدرها. وهذه هي من السنن القطعيّة والتي لا تقبل الاستثناء في التدبير الإلهيّ. يقول القرآن الكريم في هذا الباب ما يقلّ نظيره فيما يماثله من بيانه لمختلف السنن الإلهيّة: «**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**»2. فالأذان هنا بمعنى الإعلان، وإنّ باب التفعّل يدلّ على قول الأذان بالمزيد من الصراحة والفصاحة والجزم؛ فكلمة «تأذّن» تعني: الإعلان الصريح والمؤكّد. ثمّ تبيّن الآية موضوع هذا الإعلان عن طريق العبارة التالية: «**لئن شكرتم لأزيدنّكم**»؛ أي: لأزيدنّكم نعمة. وقد كان بمقدور الله عزّ وجلّ أن يقول: «**إن شكرتم زادكم الله**» نعمةً، بيد أنّه جلّ وعلا لم يصغ العبارة هكذا، بل استخدم في صياغتها جملة تعدّ في نظر الأُدباء جواب قَسَم، فقال: «لئن شكرتم»؛ وتقديرها: «والله لئن شكرتم»، كما أنّ جواب القسم جاء بلام التأكيد ونون التأكيد الثقيلة؛ ومن هنا فقد روعي تأكيد الكلام بالكامل، ليكون المعنى: إنّ هذه السنّة الإلهيّة لا تدع بتاتاً أيّ مجال للشبهة وهي سنّة قطعيّة لا استثناء فيها؛ مفادها أنّكم إذا شكرتم

نعم الله جلّ وعلا فإنّ نعمتكم ستزداد حتماً وقطعاً. «**ولئن كفرتم إنّ عذابي لشديد**». فالباري عزّ وجلّ يهدّد ويتوعّد بأنّكم إن كفرتم فاعلموا أنّ عذاب الله شديد. وهو بالطبع لا يقول: لأعذبنّكم.

وبهذا البيان فإنّ الله في الحقيقة يدفع بالناس إلى طلب زيادة النعم، فإنّ بيان هذا الأمر يخلق في الناس دافعاً إلى المزيد من الشكر. ومن الحَسَن هنا أن نفتح باباً للاخوة من أجل الدراسة والبحث حول هذه المسألة؛ فالشكر هو عمل اختياريّ، وكلّ عمل اختياريّ يحتاج إلى أرضيّة فكريّة؛ أي إنّ المرء يحتاج إلى العلم والاطّلاع من أجل القيام بهذا العمل، ولكنّه لابدّ قبل العلم من توفّر أرضية للدافع؛ بمعنى أنّه يتعيّن توفّر دافع في الإنسان لإنجاز هذا العمل، وأن يميل قلبه إليه. فبمعزل عن العلم بالعمل لابدّ من إرادة القيام به، وإذا ضُمّ هذان الإثنان إلى بعضهما تحقّق الفعل الاختياريّ. فهناك أُمور كثيرة يعلم معظمنا أنّها حسنة إلاّ أنّنا لا نأتي بها لانعدام الدافع فينا لذلك، فالإنسان لا يقوم بما يعلم أنّه فعل حسن إلاّ إذا وُجد في داخله الدافع للقيام به. ومن هنا فإنّ من أعظم أدوار المربّي والمعلّم هو تقوية دوافع المتربّي من خلال السعي إلى إثارة العاطفة والمحبّة في داخله.

فمجرّد العلم بأنّ الله قد منّ علينا بنعم جمّة هو غير كاف لاستثارة دافع الشكر في أنفسنا، فالأمر يتطلّب شيئاً آخر، وهو ضرورة توفّر الرغبة والميل القلبيّين لأن نكون شاكرين. وهذا من العوامل التي أوجدها الله بشكل فطريّ في كيان الإنسان؛ فالإنسان مفطور بطبيعته على أن يشعر في قرارة نفسه بضرورة الخضوع في مقابل من علِم بأنّه قد أسدى إليه خدمة، والإحساس بأنّه مدين له، والسعي لمجازاته على ما

أسبغ عليه من اللطف؛ فعلى أقّل تقدير يأتي بالشكر على لسانه، أما إذا لم يفعل ذلك فانّه يظلّ يراوده شعورٌ كمَن فقدَ شيئاً و لم يعثر عليه. قبل بضع سنوات وفي أثناء رحلة إلى أمريكا دُعيت إلى إلقاء محاضرة في إحدى الجامعات، لكنّ ضجّة وزحاماً ما لبثا أن استولَيا على الجامعة برمّتها بعد إلقاء المحاضرة، وفي خضم ذلك التجمّع الغفير كان أحد الطلبة يصرّ إصراراً عجيباً على التقرّب منّي، فرجوت الأخوة المرافقين لي أن يسمحوا له بالتقرّب لنرى ما الذي يودّ قوله. فاقترب منّي مكتفياً بالقول: كنت أريد فقط أن أقول لك: شكراً جزيلاً. قال ذلك وذهب. فقد كان يشعر بنقص في داخله و لم يهدأ له بال إلاّ بالإعراب عن الشكر. هذه مسألة فطريّة؛ فالإنسان لا يستطيع أن يكون غير مبالٍ أمام من أحسن إليه. بالطبع هذا الأمر ليس من مختصّات الإنسان بل هوموجود في الحيوانات أيضاً، بل إنّ بعضها يفوق الإنسان بكثير في إظهاره للشكر. فهناك من الحيوانات التي إذا أعطاها المرء لقمة خبز أو قطعة عظم تظلّ مدّة مطأطئة رأسها ومتذلّلة أمامه! فهذا أمر مودَع من قبل الله في جميع الحيوانات، أمّا في الإنسان فلابدّ أن يمتاز هذا الأمر بالمزيد من الوعي.

في إحدى المرّات وفي أثناء مجلس عقد بخصوص الشكر قال قائد الثورة المعظّم (حفظه الله تعالى): ينبغي توفّر بضعة أُمور من أجل الشكر؛ أوّلها عِلم الإنسان بأنّ ما في يده نعمة، وثانيها أن يعلم بأنّ هذه النعمة هي من الله تعالى؛ فإن اعتقد بأنّ النعمة هي من نفسه فإنّه لن يشعر في داخله بالدافع إلى الشكر. فالإنسان لن يبادر إلى الشكر إلاّ إذا أحسّ بأنّ هذه النعمة هي من الله تعالى وأنّ الله قد أعطاه إيّاها عن علم وقصد؛ لا أنْ يظنّ أنّها قد وصلت إليه في سياق عمليّة جبريّة. فبعد أن يعلم

أنّها نعمة، وأنّ الله هو الذي منّ عليه بها، عندئذ سيُضَمّ هذا الإحساس الفطريّ إلى ذلك فيبادر إلى الشكر. فهذا الإحساس الفطريّ بالاعتراف بالجميل هو الآخر قد خلقه الله في وجودنا وهو بحدّ ذاته نعمة تحتاج بدورها إلى شكر.

مراتب الشكر:

إنّ مسألة الشكر هي على جانب من الأهمّية حتّى أنّ كبار المتكلّمين عدّوها من بديهيّات العقل ودليلاً على وجوب معرفة الله تعالى.
وإنّ للشكر مراتب أوّلها أن يقول المرء بلسانه: شكراً لله؛ الحمد لله. والمرتبة الثانية هي أن يحافظ على هذه النعمة فلا يضيّعها. فلو أنّ صديقاً أهداك هديّة ثمّ لاحظ أنّك أهملتها وضيّعتها، فإنّه سيعاتبك! فحفظ النعمة بحدّ ذاته يعدّ مرتبة ثانية للشكر؛ وهي تعني أن لا يستعمل الإنسان النعمة فيما لا يحبّه الله؛ فلا ينبغي استعمالها في أمر يصبّ في مصلحة العدوّ وفي مواجهة المنعِم! وبتعبير آخر: يجب أن لا تُستخدم النعمة في سبيل المعصيّة.

أمّا آخر مراتب الشكر فهي أنّه إذا فَرضت النعمة علينا تكليفاً سواء أكان مستحبّاً أو واجباً ـــ فلابدّ عندها من أدائه؛ فإن أُعطينا ثروة وأُريد منّا أن ندفع بعضها للفقير فلا نقصرنّ في ذلك، فهذا أيضاً من الشكر لهذه النعمة. وتلك هي المراتب المختلفة للشكر.

قلنا إنّه مضافاً إلى العلم فإنّ عمليّة الشكر بحاجة إلى الدافع والميل والرغبة؛ فإنّ إحساسنا بكوننا مدينين وشعورنا بضرورة أداء ما في أعناقنا من دين إنّما هي أُمور

أودعها الله في فطرة الإنسان؛ وهي في غاية الحسن! لكنّ هذا الأمر الفطريّ يضعُف تدريجيّاً جرّاء التهاون والإهمال ويفقد أثره فيزول ذلك الدافع المحفّز. على سبيل المثال فإنّ المبتلين بالتدخين يشكون في المرحلة الأُولى من تدخينهم من السعال عند ممارسته؛ إلاّ أنّهم يألفون الدخان شيئاً فشيئاً حتّى يصلوا إلى حدّ الإصابة بحالة من الاضطراب إذا تركوا التدخين. وهذا يمثّل تخريب الفطرة الإلهيّة المودعة في النفس! ففطرة الله كانت تقتضي السعال والاختناق عند دخول دخان السيجارة إلى الرئة؛ لكنّ الإنسان يخرّب تلك الفطرة بنفسه ويعطّلها عن العمل، بل إنّه يُحدث في نفسه أثراً معاكساً لها! فإنّ الأُمور تصل بالإنسان أحياناً، نتيجة الأنانية، وحبّ الذات، والتروع المفرط نحو اللذّات، إلى فقدان روح الشكر وعرفان الجميل بالكامل وحلول حالة اللامبالاة محلّها! فأشخاص كهؤلاء لا يفكّرون إلاّ بمصالحهم القريبة ويسعون إلى استتراف كلّ ما يستطيعون استترافه من كلّ مَن هو في طريقهم. فعندما تلبَّى حوائجهم ينسون خدمات الآخرين وألطافهم. وبهذه الطريقة تنطفئ تلك الفطرة الموهوبة من الله تعالى. فالله هو الذي أعطى هذه الفطرة؛ لكنّ هذا الإنسان، بتصرّفاته المشينة تلك، يقوم بإضعافها، بل ويبدلها أحياناً إلى الضدّ!

تقوية الأُمور الفطريّة:

وفي المقابل أيضاً فإنّ هناك من العوامل ما يساعد على تقوية هذا الإحساس والميل الفطريّ في المرء، حيث إنّه من الممكن تقوية الأُمور الفطريّة بعوامل خارجيّة. وهذه الإمكانيّة تتوفّر أيضاً في الأُمور الغريزيّة؛ فعندما يجوع المرء وتصل رائحة الشواء إلى مشامّه يقوى عنده الإحساس بالجوع. فهذا الإحساس هو شيء داخليّ، إلاّ أنّ

رائحة الطعام الشهي تقوّيه. وكذا فإنّ الميل إلى النظر إلى الوجه الحسن موجود في باطن الإنسان، فإن هو لم يسيطر على نظراته ووقعت عينه بضع مرّات على الأجنبيّة فسيقوى هذا الميل في داخله، وستمسي حينئذ محاربة الشيطان أمراً صعباً. فالعامل الخارجيّ هنا هو الذي يقوّي الإحساس الداخليّ. ولهذا فإنّ علينا أن نبذل قصارى الجهود في توفير العوامل الخارجيّة التي من شأنها أن تقوّي الأُمور الحسنة، وأن نسعى في المقابل إلى الابتعاد عمّا يقوّي عوامل المعصية. فكلّما قلّ وقوع نظر المرء على الأجنبيّات، ضعف الدافع إلى المعصية في نفسه.

فالله سبحانه وتعالى قد أوجد في أنفسنا الدافع إلى الشكر والحمد من خلال إعطائنا للنعم: «**واستحمد إلى الخلائق بإجزالها**»؛ حيث إنّه من خلال إعطاء المزيد من النعم قد هيّأ في داخل الإنسان الأرضيّة للحمد وإثارة هذا الإحساس. وكأنّه عزّ وجلّ يريدنا، عبر عمله هذا، أن نحمده ونثني عليه. لكنّه لم يكتف بذلك، بل: «**وثنّى بالنَّدب إلى أمثالها**»؛ فقد جاء بالمزيد؛ وهو أنّه دعى إلى الشكر، بل وأمر به أيضاً، بشكل علنيّ. فلو أنّ الله لم يأمرنا بالشكر أساساً لكان لزاماً علينا أيضاً، على أساس العامل الوجدانيّ والفطريّ المودَع فينا، أن نشكره؛ لكنّه لم يكتف بذلك فبادر مراراً وتكراراً إلى دعوة الناس إلى الشكر في قرآنه المجيد؛ كما في قوله: «**أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ**»3، بل إنّه جلّ شأنه يلوم على أنّ المعترفين بالجميل والشاكرين هم قلّة من بين الناس: «**وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**»4.

إذن فإنّه علاوة على امتلاكنا للعامل الفطريّ للشكر وأنّ ضمائرنا تحثّنا على أن نكون شاكرين في مقابل نعم الباري تعالى فإنّه لابدّ في البدء من معرفة النعم الإلهيّة.

ومن هذا المنطلق علينا أن نفهم أنّ بإمكان تلك العلوم التي تعرّفنا على نعم الله تبارك وتعالى أن تكون ذات أثر في تبيين تكاملنا. وعلى وجه الخصوص فإنّني أُوصي إخواني وأعزائي من طلبة العلوم الدينيّة أن يطالعوا في مجال فسلجة جسم الإنسان كي يدركوا أيّ مقدار من النعم قد أغدقه الله علينا. فمن بين العلوم الطبيعيّة التي تبعث أكثر من غيرها على أن يقدّر المرء حقّ النعم هو علم الحياة ووظائف الأعضاء المتعلّق بالإنسان.

فالسيّدة الزهراء (سلام الله عليها) تشير في هذه التوصيات الأخيرة إلى تلك الالتفاتات اللطيفة عبر تعابير هي من الناحية الأدبيّة، فضلاً عن الجانب النغميّ غاية في الروعة وقمّة في الجمال. فترتيب العبارات في كلامها ينمّ عن منتهى الحكمة. فكلامها هذا له أثر تربويّ قويّ للغاية وبإمكان الإنسان أن يفهم من خلال تلك الجملات القليلة أيّ محلّ يشغله من الإعراب وأيّ وظيفة له في الحضرة الإلهيّة، وأنّه لماذا يعطيه الله تعالى كلّ تلك النعم أساساً، ولماذا يذكّره بها أيضاً. فهو يذكّره بها كي يعلم أنّها من الله فتثير فيه، من خلال ذلك الإحساس الذي أودعه الله في كيانه، الدافع إلى الشكر فيكون شكره من موجبات زيادة نعمه ودوامها، وأن يفيد أكثر من نعم الله تلك فيكتسب بذلك اللياقة لنيل ما لا أمد له من نعمه تعالى في العالم الأبديّ.

هذا على الرغم من أنّ أيّ واحد من تلك الأُمور لا يُجدي الله أدنى نفع. فلو عكف البشر بأجمعهم طيلة ما أُعطوا من أعمار على شكر الله تعالى، فهل سيضيف ذلك الى الله شيئاً؟! فتعالى الله أن تتولّد فيه حالة من أثر فعل الآخرين. فمن نحن وما نحن

كي نستطيع إيجاد حالة الرضا في الله عزّ وجلّ! فكلّ ذلك هو لطف منه من أجل أن تتوفّر فينا اللياقة لتلقّي رضاه، ورحمته، وقربه، ولعمري فإنّ في ذلك نعمة تفوق غيرها من النعم.

اللهمّ اجعلنا من الشاكرين لأنعمك والعارفين بآلائك يا الله.

---

1. بلاغات النساء، ص27؛ وبحار الأنوار، ج29، ص220.
2. سورة إبراهيم، الآية 7.
3. سورة لقمان، الآية 14.
4. سورة سبأ، الآية 13.

المؤلف في سطور:

* ولد سماحة الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي عام 1313 هجرية شمسية (1935م) في مدينة يزد الصحراوية.

* سافر الى النجف الاشرف لاكمال دراسة العلوم الاسلامية، و لضائقة مالية اضطر للهجرة الى قم المقدسة بعد عام واحد.

* شارك فى دروس الامام الخميني الراحل (قدس سره) و في الوقت ذاته تلقى دروسا في تفسير القرآن الكريم و الشفاء لابن سينا و الاسفار لملاصدرا على يد العلامة الطباطبائي (رحمة الله عليه)

* حضر دروس الفقه لاية الله بهجت (مد ظله العالى) لمدة 15 عاماً

*بعد توقف دروس الامام الراحل(ره) بسبب نفيه الى خارج ايران تصدى سماحته لاجراء دراسات متعددة في المباحث الاجتماعية في الاسلام منها بحث الجهاد، كذلك القضاء و الحكومة الاسلامية.

* كان لسماحته حضور فعال ايضا فى ساحة المواجهة مع النظام البهلوي البائد تمثلت في التعاون مع الشهيد بهشتي و الشهيد قدوسي و حجة الاسلام و المسلمين رفسنجاني، و خلال ذلك قام باصدار نشرتي (البعثة) و (الانتقام) حتى انه كان متصديا لشؤون الطباعة و التوزيع للاصدار الثاني.

* قام برفقة آية الله جنتي، الشهيد بهشتي و الشهيد قدوسي بإدارة مدرسة المنتظرية للعلوم الدينية بقم المقدسة و ألقى فيها دروساً فى علم الفلسفة، علم الاخلاق، و علوم القرآن لمدة (10) سنوات.

* بعد انتصار الثورة الاسلامية العظيمة و باسناد و تشجيع من الامام الخميني(ره) قام بانشاء عدة مدارس و مؤسسات اهمها قسم التعليم في مؤسسة فى طريق الحق و مؤسسة باقرالعلوم (ع).

* يرأس حاليا مؤسسة الامام الخميني (ره) للتعليم و البحث العلمي في قم المقدسة بتعيين من السيد القائد.

*انتخب عام 1369 هـــ.ش (1990م) نائبا عن محافظة خوزستان في مجلس خبراء القيادة، كما انتخب مؤخراً نائبا عن أهالي طهران فى المجلس المذكور.

*له مؤلفات و كتب عديدة في الفلسفة الاسلامية والمقارنة والالهيات والاخلاق والعقيدة الاسلامية.

أقوال عن الشيخ المصباح:

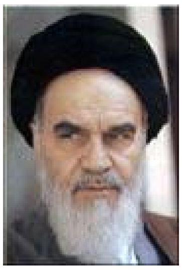

الامام الخميني قدس الله سره:

من كلام الامام الخميني (قدس الله نفسه الزكية)على لسان آية الله مسعودي الخميني:

«الشيخ مصباح ذوالشهادتين».

قائد الثورة الإسلامية دام ظله الوارف:

«اني أعرف سماحة الشيخ مصباح منذ اربعين سنة تقريباً و اوده باعتباره فقيهاً، فيلسوفاً، متفكراً و صاحب نظر في المسائل الاسلامية.»

«الجيل الحاضر ان لم يوفقه الله سبحانه و تعالى للاستفادة من شخصيات كبيرة أمثال العلامة الطباطبائي و الشهيد مطهري فقد ملىء الفراغ في هذا العصر – برعاية الله – من قبل شخصية عزيزة و جليلة (آية الله مصباح اليزدي).

«اشكر الله سبحانه و تعالى و احمده على ان جيل الشباب فى جميع انحاء البلاد (الجمهورية الاسلامية الايرانية) يكنّون لآية الله مصباح حباً شديداً و تقديراً كبيراً.»

من كلمات السيد القائد "آية الله العظمى الخامنئي " حفظه الله والتي قالها مخاطباً مجموعة من البراعم واليافعين من حافظي القرآن الكريم وذلك في الخامس من شهر ربيع الثاني 1422 هجري قمري:

«باعتقادي ان من الأمور التي لها أثر بالغ في هذه الجانب - درك مفاهيم القرآن الكريم بافضل صورة – الاستعانة والاستفادة من مؤلفات الشهيد المطهري ونتاج اساطين العلم المعاصرين من امثال آية الله مصباح وغيره ممن لهم احاطة كاملة بأسس الفكر الاسلامي حقاً وحقيقةً. ان بامكانكم الاستفادة من هذه المصادر القيمة وكذلك يمكنكم صياغتها باسلوب سهل وبسيط».

العلامة الطباطبائي قدس الله سره:

نقل حجة الاسلام الشيخ اصغر مرواريد عن العلامة الطباطبائي (قدس سره) انه قال:

«الشيخ مصباح احد اولئك الطلبة الذين مثلهم مثل ثمره التين لا يستغني عن اي شي فيها».

الشهيد آية الله بهشتي رضوان الله تعالى عليه:

«صديقي العزيز والعالم المحترم... كنت أودّ لو كتبت إليك قبل هذا الحين بكثير لكنّني كنت بانتظار ساعة خلوة تتيح لي فرصة تجاذب أطراف الحديث مع سماحة الشيخ مصباح، الذي هو «مصباح الأصدقاء»، بذهن صاف إلاّ أنّني لم أظفر من تلك الساعات إلاّ بالقليل».

أصحاب الإمام برواية وثائق السافاك، ج2، ص422.

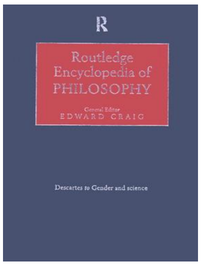

«قامت الحوزة العلمية بقم إلى جانب (الإمام) الخميني بتربية أشخاص من أمثال محمد حسين الطباطبائي، مرتضى المطهري و محمد تقي مصباح اليزدي، حيث قاموا بأفكارهم الفاعلة بمقارعة الصّراع الذي أثاره الغرب ضدّ الفلسفة الإسلامية. لاينبغي أساساً اعتبار هذا النشاط استراتيجية انفعالية وردّ فعل تجاه الغرب، إذ انّ مصباح قد شجّع الكثير من تلامذته للدراسة في الغرب والإهتمام بتحليل الأفكار العلمية والمنطقية كما يدرس في الغرب. كما أنّ النشاط العلمي لدى المصباح وإن ارتكز على آراء ملاصدرا، إلا انّ ذلك لايعني تلبية لنظرياته دون نقد، و خاصّة أنه يوجّه نقداً لمفهوم «الهيولى الأولى» التي يعتبرها ملا صدرا كقوة محضة للموجودات. إنه يشكك في أصل وجود قوة للوجود قبل الموجودات ذاتها، إذ لا وجود لشيء آخر غيرالموجودات. على أن مصباح يعتقد بأن الكثير من «النسب» ليست طبيعة حقيقية. فمثلاً، في نطاق الأمور العقلية يمكن إطلاق مفهوم «تحت» على العلاقة بين منضدة وكتاب، ولكن إطلاق هذا المفهوم الذي هو تابع لفاعل معلوم [ونتيجة للإنتزاع الذهني] لايستلزم وجود ماهية لـــ«تحت» في عالم الواقع.»

دائرةالمعارف الفلسفية راتلج: تحت عنوان «الفلسفة الإسلامية الحديثة»

"سوف ننهج في شرح خطبة
السيّدة الزهراء (سلام الله عليها)
نهجاً بحيث لا نسهب في البحث
فيها فيأُخذ منّا زمناً طويلاً،
ولا نأُخذ جانب الإجمال
فلا نعطي الموضوع حقّه.
نسأل الله تعالى أن يوفقنا
لأن نوضّح هذه الخطبة الشريفة
بأُسلوب وسط ومعتدل .."